سلسلة تقريب السنة بين يدي الأمة ٣

عون الباري في شرح نظم الأحسائي

لفضيلة الشيخ

سالم بن عبد الله بامحرز

إمام وخطيب مسجد الاعتصام

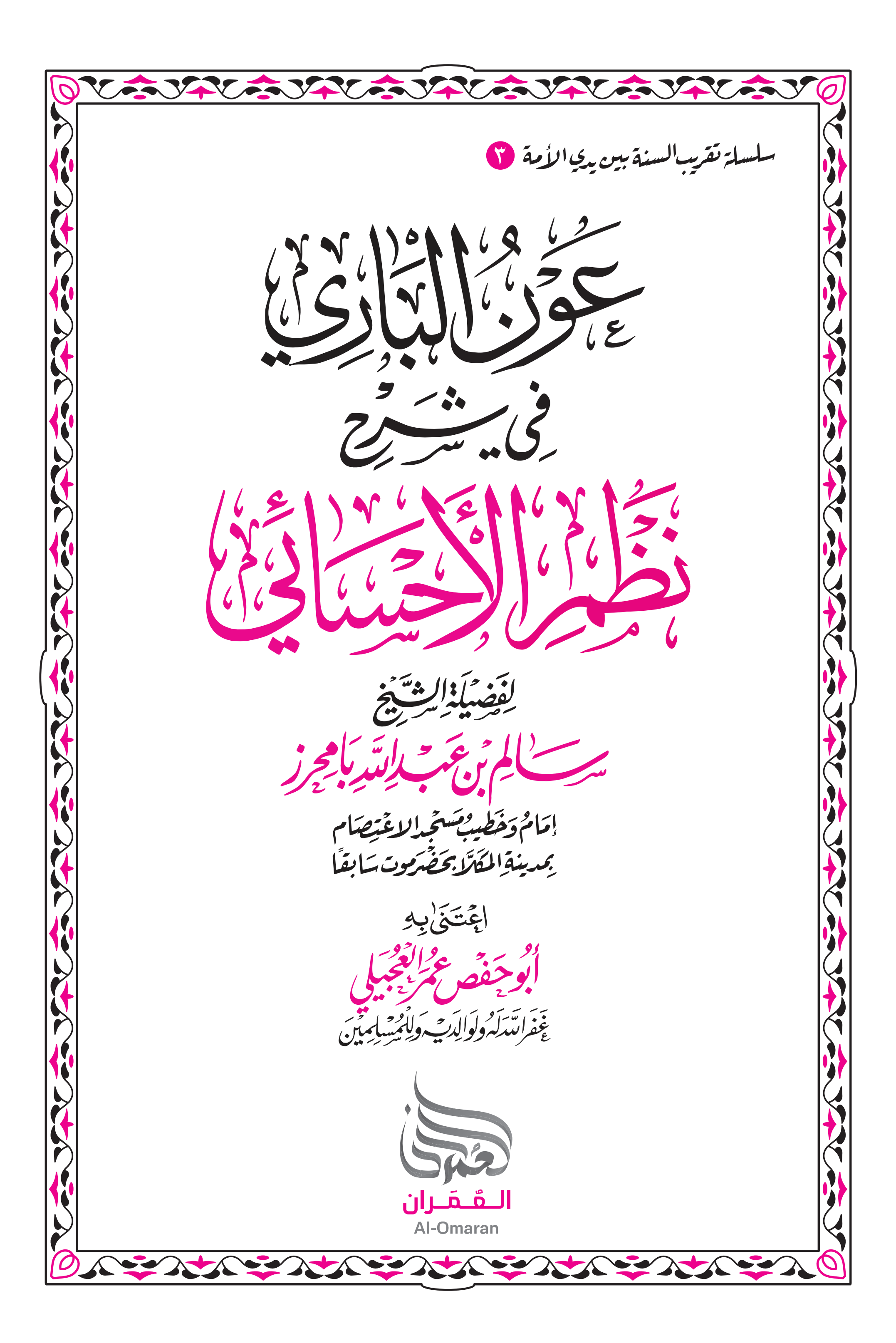
بمدينة المكلا بحضرموت سابقًا

اعتنى به

أبو حفص عمر العجيلي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين





سلسلة تقريب السنة بين يدي الأمة ٣

عون الباري في شرح نظم الأحسائي

لفضيلة الشيخ

سالم بن عبد الله بامحرز

إمام وخطيب مسجد الاعتصام
بمدينة المكلا بحضرموت سابقًا

اعتنى به

أبو حفص عمر العجيلي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

القمران

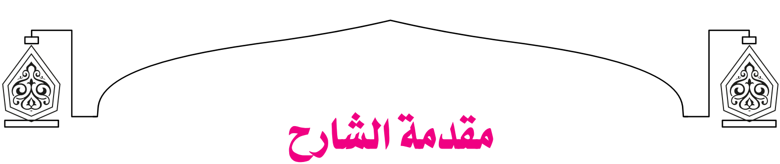
Al-Omaran



1443هـ - 2022م

رقم الإيداع:

العُمَران
Al-Omaran



مقدمة الشارح
الشيخ سالم بن عبد الله بامحرز

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أعظمها وأسماها، دين الإسلام العظيم، وذلك فضل من الله وكرم منّة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومما يجب علىٰ المؤمن هو المحافظة علىٰ ما أنعم الله عليه من الهداية وسلامة العقيدة، ومن أسباب ذلك المُطالعة والمُدارسة في كتب علماء هذه الأمة في أبواب العلم جميعها، وأعظمها علوم العقيدة والمنهج السَّلفي القويم في تطبيق هذه العلوم.

وقد طلب مني بعض الإخوة الأفاضل، القائمون علىٰ إذاعة ابن أبي زيد القيرواني -حفظهم الله جميعًا- شرح «منظومة الأحسائي علىٰ مقدمة ابن أبي زيد القيرواني»، والتي حَوَتْ تقرير مذهب السلف في العقيدة، ويتبين ذلك فيما تضمنته

هذه المنظومة المباركة من عقيدة السلف الصالح التي نظمها الشيخ العلَّامة الفقيه المُحدِّث والشاعر الأديب: أحمد بن علي بن حسن بن مشرف المالكي، المتوفىٰ سنة ١٢٨٥ للهجرة، في واحدٍ وتسعين بيتًا علىٰ مقدمة الرسالة للإمام ابن أبي زيد القيرواني، وقد أبدع الشيخ ابن مشرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظمه، ويتجلىٰ ذلك في حُسن نظمه، وعذوبة ألفاظه، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي العقيدة، علىٰ منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات وجميع ما يتقرر في العقيدة والمنهج، فجزاه الله خير الجزاء، وأثابه عظيم المثوبة.

وقد يسَّر الله بعد إتمام شرحنا لهذه المنظومة المُباركة أن قام أحد طلبتنا الأفاضل- جزاه الله خيرًا- بتفريغ هذا الشرح؛ ليعم النفع بهذا الشرح، ولله الحمد والمنة في ذلك من قبل ومن بعد.

وفي الختام نشكر أخانا الفاضل أبا حفص عمر العُجيلي- حفظه الله تعالىٰ- علىٰ جهده المُبارك في اعتنائه بهذا الشرح، وجمع التعليقات والتخريج عليه، فجزاه الله خير الجزاء وأثابه عظيم المثوبة ونفع الله بجهده.

هذا وقد أَذِنَّا بطبع هذه الرسالة

كتبه

أبو أنور سالم بن عبد الله بامحرز

في يوم السبت الموافق ٤ من شهر رجب عام ١٤٤٣هـ



تَرْجَمَةُ صَاحِبِ المَتْنِ

هو: العلَّامة الفقيه أحمد بن علي بن حسن بن مُشرّف التميمي الأحسائي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان من أعلام القرن الثالث عشر[(١)]، وممَّن نافح عن العقيدة الصحيحة وذبَّ عنها، وقد نفع الله بعلمه ومنظومَاته المشهورة الكثيرة- غفر الله له وأسكنه فسيح جناته.

وُلد في «الأحساء» سنة ١٢٠٣ هـ، ونشأ بها، وسافر في شبابه إلىٰ «نَجد» طالبًا للعلم، فطلب العلم علىٰ علمائها، وأخذ عن كبار أئمة «نَجد»، فدَرَس عليهم حتىٰ أصبح عالمًا فقيهًا، ثم عاد إلىٰ مسقط رأسه في «الأحساء»، فاشتغل بالتدريس، فدرَّس ونظم رسالات ومنظومات؛ لتسهيلها لطلابه في حفظها، توفي في مسقط رأسه سنة ١٢٨٥ هـ.

ولهذا العالم الجليل منظومة في واحدٍ وتستعينَ بيتًا تُعرف بـ«**منظُومة الأحْسائي علىٰ مقدمةِ ابن أبي زيدٍ القيرَواني**»[(٢)]، نظم فيها ما تضمنته مقدمة الرسالة للعلَّامة ابن أبي زيد القيرواني المالكي في عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة؛ في

---

(١) وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدة «الزِّبَارة»، وكان كفيف البصر منذ الصغر، وقد ولَّاه الإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قضاء «الأحساء»، ولذلك يُنسب لتلك البلدة فيقال: **الأحسائي**، وله باع طويل في التأليف. قاله الشيخ الدكتور حمد الوهيبي. «شرح النظم- الشريط الأول».

(٢) وهي موجودة ضمن ديوانه المسمىٰ: «ديوان ابن مشرف».

إثبات الصفات والأفعال من آثار السلف الصالح في العلم والدعوة والعمل[(١)]، وهي قصيدةٌ حسنة النظم، عذبة الألفاظ، تدل علىٰ قوة شاعرية مؤلِّفها.

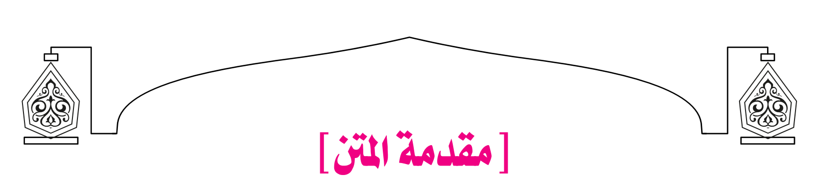
وقد نظم هذا العالم القصيدة في مقدِّمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة، وجعلها الفصل الأول في رسالته القيِّمة في مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حوت تلك الرسالة ذِكْر قواعد عظيمة في العقيدة أولًا، ثم في الأحكام والسلوك والآداب ثانيًا، وكل هذا من الفقه العظيم الذي لا يَستغني عن تعلُّمه والعمل به كل من وفَّقه الله إلىٰ سلامة الدين، والعلامة الفقيه ابن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة»[(٢)] كان قد ألَّفها في سِن مبكرة من حياته، قيل: كان في سن السابع عشر من عمره، ومن متانة علمه وتمكُّنه من فقه الإمام مالك كان يُلقب بمالك الصغير في زمانه، وقد نفع اللهُ بهذه الرسالة أقوامًا كُثُرَ في مشارق الأرض ومغاربها، ولا زالت أجيال الأمة تتدارس هذه العلوم المُباركة، وقد استوعبت هذه المنظومة ما جاء في الرسالة بأبيات عذبة سلسة جميلة، جدير بكل طالب علم الوقوف عليها وحفظها وفهمها.



---

(١) ومما تميَّز به النظم زيادته بعض التقريرات العقدية النفيسة. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في شرحه للنظم (ص ٢).

(٢) هو: الإمام العلَّامة الفقيه أبو مُحمد عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بمدينة «القيروان» بـ«تونس» سنة عشر وثلاثمائة من الهجرة، وهو عالم بلاد المغرب ومرجعها في وقته، جمع مذهب مالك بن أنس، وجمع فقهه، وشرح أقوال المذهب، ولُقب بمالك الصغير، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمائة من الهجرة. قال الذهبي: «وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ طريقة السَّلف في الأصول، لا يدري الكلام، ولا يتأوَّل، فنسأل الله التوفيق». اهـ. «السير» (١٧/ ١٣).



[مقدمة المتن]

عقيدة الشيخ الإمام عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي زيد القيرواني، كما نظمها الشيخ أحمد بن مشرّف الأحسائي المالكي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ:

الحَمْـدُ للهِ حَمْـدًا لَـيْسَ مُنْحَصِـرَا ... عَلَـىٰ أَيَادِيـهِ مَـا يَخْفَـىٰ وَمَـا ظَهَـرَا

ثُـمَّ الصَّـلَاةُ وَتَسْـلِيمُ المُهَـيمِنِ مَـا ... هَـبَّ الصَّـبَا فَـأَدَرَّ العَـارِضُ المَطَـرَا

عَلَىٰ الَّذِي شَادَ بُنْيَانَ الهُدَىٰ فَسَمَا ... وَسَادَ كُلَّ الْوَرَىٰ فَخْرًا وَمَا افْتَخَرَا

نَبِيِّنَـا أَحْمَـدَ الْهَـادِي وَعَتْرَتِـهِ ... وَصَحْبِهِ كُلِّ مَنْ آوَىٰ ومَنْ نَصَرَا

وَبَعْـدُ فَـالْعِلمُ لَـمْ يَظْفَـرْ بِـهِ أَحَـدٌ ... إِلَّا سَـمَا وَبِأَسْـبَابِ الْعُلَـىٰ ظَفَـرَا

لَا سِـيَّمَا أَصْـلُ عِلْـمِ الـدِّينِ إِنَّ بِـهِ ... سَـعَادَةَ الْعَبْـدِ وَالمَنْجَـىٰ إِذَا حُشِـرَا

الشرح:

بدأ الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ بحمد الله عَزَّوَجَلَّ والثناء عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما هو أهله، وهذا اقتداءً بكتاب الله تعالىٰ، وبرسائل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إلىٰ ملوك زمانه(١).

قوله: (**الحَمْدُ للهِ**): الحمد: هو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم؛ لكماله الذاتي والوصفي والفعلي؛ فهو كامل في ذاته وصفاته وأفعاله

---

(١) قال الخطيب: «فإن كان الكتاب ديوان شعر فقد اختلف فيه». اهـ. «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٣)، وللمزيد انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.

سبحانه، قال أهل العلم: ولا بد من قَيْد: «مع المحبّة والتعظيم»؛ لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم، لا يسمىٰ حمدًا؛ وإنما يسمىٰ مَدحًا.

والحمدُ: حمدٌ علىٰ نعم الله وعطاياه التي لاتُعدُّ ولا تحصىٰ، ولذلك قال الناظم: (**حَمْدًا لَيْسَ مُنْحَصِرًا**)، فالحمد كله لله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فلله الحمد في الأولىٰ وفي الآخرة.

قال: (**عَلَىٰ أَيَادِيهِ**)، أياديه: نِعَمه[١] التي يوصلها إلىٰ مخلوقاته سبحانه، ونِعَمُ الله كثيرة؛ فمنها ما هو ظاهرٌ جلي، ومنها ما خفي علىٰ كثير من مخلوقاته، ولذلك قال: (**مَا يَخْفَىٰ وَمَا ظَهَرَا**)، ومن كثرة نِعَمه سبحانه استحالة عدِّها وإحصائها، فما أحرىٰ العباد علىٰ شكرها، وعدم كفرها وجحودها، ومع الشُّكر يكون الزيادة، ومع الكفر العذاب، قال تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم: ٧].

ثم بعد الحمد ثنَّىٰ بالصلاة والسلام علىٰ نبينا مُحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وصلاة الله علىٰ نبيه هي: ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ[٢]. والتسليم: هو الدعاء له بالسلامة، وقوله: (**المُهَيمن**)؛ أي: الله، وهذا اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، ومعناه: المالك المتصرف المدبر للكون بلا شريك في ذلك.

قوله: (**الصَّبَا**): هي هبوب الريح من جهة المشرق، والريح الشرقية تسمىٰ بالصبا، وهي التي تثير (**العَارِض**) وهو السحاب[٣]، وهي التي نصر الله بها رسوله

---

(١) قال الناظم:

لَهُ عَلَيَّ أَيَادِي لَسْتُ أَكْفُرُهَا ... وَإِنَّمَا الْكُفْرُ أَنْ لَا تُشْكَرَ النِّعَمُ

(٢) نقله البخاري عن أبي العالية الرياحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨/ ٥٣٢).

(٣) «لسان العرب» (١/ ٧٧٨). قال الله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الأحزاب فقال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا»(١)، قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

ثم قال: (فَأَدَرَّ العَارِضُ(٢) المَطَرَا)؛ أي: فأنزل بها المطر بإذن الله تعالىٰ، فهي الريح الشرقية وهي ريحٌ مُباركة، والرياح هي التي تُلقح السحاب بالمطر، قال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

فالريح أربعة علىٰ الاتجاهات الأربع:

١- الريح التي تأتي من الشرق هي: الصَّبا.

٢- والريح التي تأتي من المغرب هي الدَّبور(٣)، وهي الريح التي أهلك الله بها عادًا.

٣- والريح التي تأتي من الشمال تسمىٰ: الشَّمال.

٤- والريح التي تأتي من الجنوب تُسمىٰ: الجنوب.

ثم قال: (عَلَىٰ الَّذِي شَادَ)؛ أي: الصلاة والتسليم علىٰ الذي شاد كل الورىٰ وسَما، وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهو سيد الأولين والآخرين، يقال: قصرٌ مَشيد؛ أي: مُجصَّص من الجُص، وهو ما يتمم به البناء، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي أتم الله به هذا الدين وكمَّله، فما كان من خَيريْ الدنيا والآخرة إلا جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما كان من شرٍّ إلا حذر منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) قال الشيخ الدكتور حمد الوهيبي: «منهم من ضبطها بالنصب؛ فتكون منصوبةً، ويكون (المطر) بدلًا منها، وبعضهم يجعلها فاعلًا». «شرح النظم» (الشريط الأول).

(٣) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

ويصدق ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ**- (وفي رواية: **صَالِحَ**)(١) **الْأَخْلَاقِ**»(٢).

وقول الناظم: (**الَّذِي شَادَ بُنْيَانَ الْهُدَىٰ**): في هذا بيان أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاء بدين الإسلام الذي بُني علىٰ خمسة أركان، وجاء بالإيمان الذي بُني علىٰ ستة أركان، ثم بيَّن ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجلَّاه للأمة بالهُدىٰ والحق، وهو العلم الشرعي والعمل به وتركهم عليه، تركهم علىٰ المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلَّا هالك، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هو الذي هدىٰ الله به البشرية، فَسَمَا بهذا الدين وعَلَا به وارتفع، فهو الهادي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يهدي من آمن به من البشر هداية دلالة وبيان، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

قوله: (**وَسَادَ كُلَّ الْوَرَىٰ فَخْرًا وَمَا افْتَخَرَا**): فرسول الله سيد الأولين والآخرين، فله الرفعة علىٰ الخلق جميعًا، وهذه إشارة إلىٰ قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»(٣)، وهذا إخبار منه، لا تعاليًا ولا تكبرًا.

قوله: (**نَبِيِّنَا أَحْمَدَ الْهَادِي**): أحمد هو أحد أسماء الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦]، قالها عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل، وجاء في مواضع أخرىٰ في السنة، ومن أسمائه كذلك: مُحمد، والمَاحي، والحاشِر، والمُصطفىٰ(٤)، وهناك من جمع أسماء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

(١) «الأدب المفرد» (٢٧٣)، انظر: «الصحيحة» (٤٥).

(٢) «الأدب المفرد» (٢٧٣)، انظر: «الصحيحة» (٤٥).

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٤) رواه البخاري (٣٥٣٢).

في مؤلفات، من أفضلها كتاب: «جلاء الأفهام»(١) لابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: (الْهَادِي): من أسماء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي من الهداية، وهي وصف له، والهداية هُنا هداية دلالة وإرشاد، لا هداية توفيق وشرح الصدور؛ فهذه خاصة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

قوله: (وَعَتْرَتِهِ)؛ أي: خاصة قرابته وهم أهل البيت، وهم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة.

قوله: (وَصَحْبِهِ)؛ أي: وكذلك صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهم مَنْ أَكْرَمَهُم الله بصحبته في حياته، وأفضلهم الصديق أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

قوله: (كُلِّ مَنْ آوَىٰ ومَنْ نَصَرَا): وصفان جليلان لصحابته الذين آووا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ونصروا دينه من المهاجرين والأنصار؛ وأصحاب بيعة الرضوان وغيرهم، رضي الله عنهم جميعًا.

قال الناظم بعد ذلك: (وَبَعْدُ فَالْعِلمُ)؛ أي: العلم الشرعي، وهو التَّفَقُّه في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، هذا العلم: (لَمْ يَظْفَرْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا سَمَا)؛ أي: مَنْ حَصَّله وتعلمه وتفقه فيه وعمل بمقتضاه، ارتفع وسما علىٰ غيره، رفعة شرف وقدر(٢) ومكانة عالية باستحقاق، وليست رفعة فخر أو إعجاب، قال

---

(١) انظر: (١٧١).

(٢) قال داود بن مخراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد شرف الدنيا والآخرة، فليتعلم العلم». اهـ. «التاريخ» (١٤/ ٤١٣).

تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]، وقال عز من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]، وسمو العلماء بالعلم الشرعي يكون في الدنيا والآخرة، ثم زاد فقال: (**وَبِأَسْبَابِ الْعُلَىٰ ظَفَرَا**)؛ أي: نال وتحصل علىٰ أسباب الارتفاع في القدر والشرف عند الله وعند الخلق، فعلماء الشريعة هم ورثة الأنبياء، ومحل رجوع الأمة فيما أشكل عليها في أمور الدين والدنيا؛ لأنهم حَمَلَة كتاب الله وسنة رسوله، حيث قال: «**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١)، فالرفعة والسمو لا تُنال إلا بالأسباب، وأعظمها علم الشريعة؛ فمن سما به وارتفع نال حظًّا وافرًا من المنزلة العالية الكريمة عند الله، لا منزلة كثرة المال والجاه الدنيوي، وغَمَارَةٌ وتسلُّط، وإنما منزلة صلاح وفلاح في الدنيا والآخرة، فهذه منزلة العلم الشرعي بخلاف الجهل والضلال والضياع. نسأل الله العافية.

قال بعد ذلك: (**لَا سِيَّمَا أَصْلُ عِلْمِ الدِّينِ**): علم الدين وهو: الاعتقاد(٢)، فَخَصَّه لعلو مقامه ومكانته، وهو أول العلوم التي يُسعىٰ لتعلمها، وهو الذي يُقال له: الفقه الأكبر، ولا قيام للدِّين إلا بتعلمه والفقه فيه والعمل بمقتضاه، فالعقيدة لا تقوم إلا علىٰ أصل ثابت، وأصول الدين هي أمور الاعتقاد، وهي أركان الإسلام وأركان الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) العقيدة هي: «كل حكمٍ لا يقبل الشك». وفي الشرع: «كل حكمٍ أو خبرٍ لا يقبل الشك، وأصله ما كان راجعًا إلىٰ أركان الإيمان الستة، ثم انضاف إليها ما كان شعارًا لأهل السنة، أو مخالفًا لشعار أهل البدعة». «شرح الشيخ حامد خميس الجنيبي علىٰ النظم» (ص ٢٠).

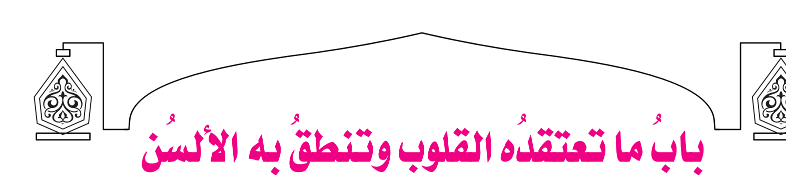
﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي حديث جبريل الطويل قال: «**مَا الإِيْمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، والْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١)، وقد حذر الله من الكفر بهذا الإيمان، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥]، إذًا لا بد من تحقيق الإيمان يقينًا وتَعَلُّمًا وعملًا، ويلحق بهذا العلم علم الفقه في العبادات والمعاملات والآداب والسلوك، بهذا يكمل العلم الذي هو أصل أصول العلوم كلّها، والخير كل الخير في الدنيا والآخرة منه وفيه، ولذلك قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِنَّ بِهِ سَعَادَةَ الْعَبْدِ وَالمَنْجَىٰ إِذَا حُشِرَا**)؛ أي: بسبب هذه الأصول تحصل خصلتان عظيمتان:

الأولىٰ: السعادة، وهي راحة القلب وطمأنينته، فبهذا الإيمان والعلم والعمل به تحصل سعادة القلب في الدنيا وسكينة وراحة.

الثانية: هي السعادة الأعظم وهي: النجاة بعد الممات وحين الحشر، فلا سعادة للقلب ولا نجاة للجسد إلا بهذه الأصول العظيمة، في الحياة وبعد الموت، قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، والقلب إذا خرج عما خُلق له ضاق واضطرب وقلق، فالحياة السعيدة للعبد هي القائمة علىٰ كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، سعادة دنيوية وأخروية.



(١) رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وابن ماجه (٦٣).



بابُ ما تعتقدُه القلوب وتنطقُ به الألسُن من واجب أمور الديانات

الفَــــرْضِ إِيْمَــــانُ الْفُــــؤَادِ كَــــذَا نُطْقُ اللِّسَانِ بِمَا فِي الذِّكْرِ قَدْ سُطِرَا
أَنَّ الإِلَــــهَ إِلَــــهٌ وَاحِــــدٌ صَــــمَدٌ فَـلَا إِلَـهَ سِـوَىٰ مَـنْ لِلْأَنَـامِ بَـرَا
رَبُّ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِـينَ لَـيْسَ لَنَـا رَبٌّ سِـوَاهُ تَعَـالَىٰ مَـنْ لَنَـا فَطَـرَا
وَأَنَّــهُ مُوجِــدُ الأَشْــيَاءِ أَجْمَعِهَــا بِــلَا شَــرِيكٍ وَلَا عَــوْنٍ وَلَا وُزَرَا
وَهُــوَ المُنَــزَّهُ عَــنْ وَلَــدٍ وَصَــاحِبَةٍ وَوَالِــدٍ وَعَــنْ الأَشْــبَاهِ وَالنُّظَــرَا
لَا يَــبْلُغَنَّ كُنْــهُ وَصْــفِ اللهِ وَاصِــفَهُ وَلَا يُحِــيطُ بِــهِ عِلْمًــا مَــنْ افْتَكَــرَا

الشرح:

في هذا الباب بيان للعقيدة وحكمها نُطقًا واعتقادًا في أمور الدين وغيره، مما سيُبينه في هذا الباب، وقوله: (**الديانات**)؛ أي: دين الإسلام الذي جاءت به رسل الله وحمله الأنبياء الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والإسلام: هو الاستسلام لله تعالىٰ بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وكل ما شرعه الله في الدين، وبلغه الرسل الكرام الذين كانت دعوتهم إلىٰ عقيدة واحدة، فالدين هو الإسلام، والعقيدة هي التوحيد الخالص لله تعالىٰ.

في البيت الأول بيان أن أول الإيمان النطق بالشهادة: شهادةُ أن لا إله إلَّا الله وأن مُحمدًا رسول الله، وهذا أول ما يجب البدء به نطقًا، وهي كلمةُ التوحيد

والعروة الوثقىٰ، مع ضرورة فهم شروط ومقتضيات هذه الكلمة العظيمة، كما فصَّل وبيَّن ذلك وأوضحه أهل العلم.

ودليلُ ما ذكرهُ الناظم: قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

فتبين من هذه الآيات أن هذا هو أول واجب علىٰ المُكلَّف، ثم قال: (**إِيْمَانُ الْفُؤَادِ كَذَا نُطْقُ اللِّسَانِ**): فيقولها المؤمن نطقًا بلسانه مع اعتقاد الفؤاد لها وهو القلب(١)، يؤمن بما دلت عليه ويجزم بذلك، ولا بد من هذا التواتر واجتماع القول والاعتقاد.

ثم بيَّن أن هذا هو: (**بِمَا فِي الذِّكْرِ قَدْ سُطِرَ**)؛ أي: جاء في الذكر مكتوبًا في القرآن، وكذلك في السنة لما بعث رسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ معاذَ بنَ جبل لأهل اليمن يدعوهم إلىٰ التوحيد، قال له: «**وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»(٢).

وفي البيت الثاني تضمن كلمة التوحيد القائمة علىٰ ركنين، ركن النفي في قوله: (**فَلَا إِلَه**)، والإثبات في قوله: (**أَنَّ الإِلَهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ صَمَدٌ**)، وبهذا يقوم التوحيد الصحيح الخالص لله تعالىٰ، فبنفي العبودية بكل معانيها نفيًا تامًّا عما سوىٰ الله، ثم

---

(١) الإيمان لغة: «التصديق مع الإقرار والانقياد». قال الشيخ حامد بن خميس الجنيبي: «وأما تفسيره بمطلق التصديق ففيه نظر عند جمع من أهل العلم». «شرح نظم المقدمة» (ص ٢٤).
شرعًا: «اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية».

(٢) رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

إثبات العبودية الخالصة لله وحده مع الذل لله، والحب والخضوع، ووصفه بالوحدانية في قوله: (وَاحِدٌ)؛ أي: لا شريك له، وأنه: (صَمَدٌ): لا نِدَّ له ولا نظير، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، وهو الذي تصمد وتقصده الخلائق في جميع حوائجها[(١)]، وهم مفطورون علىٰ ذلك، فتضمنت الوحدانية وكمال الغنىٰ والقدرة بالله عما سواه.

ثم بعد أن أفرد الوحدانية لله أفرد الربوبية له فقال: (مَنْ لِلْأَنَامِ بَرَا)؛ أي: الذي خلق الأنام وَأَوْجَدَهُمْ من عدم، فالله هو الخالق وهو الباري والرازق المدبر، وكلمة التوحيد موجبة لإخلاص العبادة، والدين كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِينَ)؛ أي: خالق السموات والأرض وموجدهما من عدم، وهذا مُوجب للعبد أن يوحده ويخلص التوحيد له، والرب: هو الإله الخالق المالك الرازق المتصرف المدبر لهذه السموات والأرضين، وكذلك هو خالق من فيهن كما قال: (وَأَنَّهُ مُوجِدُ الأَشْيَاءِ أَجْمَعِهَا): فكل مَن فيهن عبيده، وكلهم خلقه، فوجب عليهم جميعًا أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ لأنه لا شريك معه في هذا الإيجاد؛ ولهذا قال: (بِلَا شَرِيكٍ وَلَا عَوْنٍ وَلَا وُزَرَا): فهو المتفرد في الوجود كله، ولا معين له في الخلق والإيجاد لكمال قدرته، فهو لا يحتاج إلىٰ أحد، لا وزير ولا ظهير، بل تفرد بذلك وحده سبحانه كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سبأ: ٢٢]، قال العلماء عن هذه الآية: «أنها قطعت شجرة الشرك من عروقها، فلم تدع لمشرك متعلق، وقضت علىٰ أصول

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤١٢).

الشرك جميعها»[(١)]، فوجبت العبودية الخالصة لله عَزَّوَجَلَّ لتفرده بالخلق والملك الكامل، إيجادًا من عدم، فسبحان من كمُل ملكه وأتم نعمه علىٰ خلقه، فوجب الخضوع لله بالتوحيد وإفراده بالعبادة مع الإخلاص الكامل والتام له.

وبعد بيان وحدانية الله وربوبيته لجميع الخلق، جاء بيان تنزيه وتقديس الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهو وتبرئته عن كل ما لا يليق به، وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وكذلك عن المثيل، وفي هذا البيت نَزَّه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن خمسة أمور عظيمة:

الأولىٰ: (**عَنْ وَلَدٍ**)، وهي جمع: أولاد، فنزَّه الله عن ذلك، والولد يشمل: الابن، والبنت؛ فالله ليس له ولد، كما ادعىٰ أهل الضلال، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٦]، والنصارىٰ قد ادعوا أن لله ولدًا بقولهم: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، كما قالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وقال المشركون في الجاهلية: الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وقد جاءت الآيات بتنزيه الله إجمالًا عن هذا القول الشنيع، قال تعالىٰ في سورة «يونس»: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ليس بحاجة للولد، وإنما ذاك من خصائص المخلوقين.

الثانية: (**وَصَاحِبَةٍ**)، والمقصود: الزوجة، قال تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالىٰ في سورة «الجن»: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣].

الثالث: (**الْوَالِدِ**)، وهذا لم يأتِ نفيه في القرآن إلا قليل؛ لأنه لم يقل به أحد، قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]؛ أي: ليس له والدٌ، فالله ليس له بداية

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٦٠١).

ولا نهاية، وإنما هذا من خصائص المخلوقين.

الرابع والخامس: (**الأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَا**)، ثم نفىٰ الناظم الشبيه(١)(٢) والنظير عن الله، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]؛ أي: مماثل، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، وفي هذه الآيات دليل علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، وتفرده وغناه عن كل أحد، بينما كل ما في الكون لا غنىٰ له عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم شرع الناظم في تقرير منهج أهل السنة والجماعة في إبطال التكييف(٣) في صفات الله تعالىٰ، فقال: (**لَا يَبْلُغَنَّ كُنْهُ**)؛ أي: لا أحد يبلغ بعقله كيفية صفات الله مهما أوتيَ من ذكاء ونباهة، وكذلك: (**وَلَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمًا مَنْ افْتَكَرَا**): كائنًا من كان من البشرية، لا يبلغ ولا يستطيع بلوغ الإحاطة بصفات الله، قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكل تصور يبلغه عقل بشر في صفة كمال أو جمال أو حسن؛ فالله أبلغ من ذلك، فالله أكبر وأعظم من كل شيء، لا يبلغه وصف الواصفين مهما وصفه واصف، فعقول المخلوقات قاصرة عن بلوغ ذلك؛ لأن المخلوقات عاجزة عن إدراك صفات

(١) يراد به هنا التمثيل، والتمثيل: هو المساواة أو المطابقة من كل وجه، وأما التشبيه فلا يلزم المساواة من كل وجه.

(٢) قال الشيخ حامد بن خميس الجنيبي: «وإذا أطلق أهل العلم لفظ التشبيه في كتب العقائد فإنما يريدون به التمثيل». «شرح نظم المقدمة» (ص ٣٧).

(٣) التكييف هو: جعل الشيء علىٰ حقيقة معينة من غير تقييدها بمُماثل؛ فالتكييف نوع تمثيل لكنه غير مقيد بمماثل.

بعض مخلوقات الله، فهي أعجز عن إدراك صفات خالقها، ولذا وجب الكف عن الكلام في كيفية صفات الله، بل ما يقرره السلف أن الخوض في ذلك بدعة وضلالة، وفي المأثور عن الإمام مالك إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما أتاه رجل وسأله عن قول الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوىٰ؟ قال: «الاستواء غير مجهول - أي: معلوم-، والكيف غير معقول- أي: لا تبلغة العقول-، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجلَ سوء. ثم أُمر به فأخرج من المجلس». اهـ[(١)]، والاستواء غير مجهول؛ أي: معلوم، ومعناه: استوىٰ؛ أي: علا وارتفع واستقر. والكيف غير معقول؛ أي: لا تبلغه العقول، بمعنىٰ الكيف مجهول مع إثبات وجود كيف، لكن لا يعلم ذلك الكيف إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وهذه قاعدة عظيمة عند أهل السنة في الكلام علىٰ جميع صفات الله تعالىٰ، وهو تقريرٌ لمذهب ومنهج أهل السنة في عدم إثبات الكيفية بجميع صفات الله، مع إثبات الصفات كما جاءت في نصوص الوحيين، ويمرُّوها مع الإيمان بها وبمعناها[(٢)] ودلالتها في لغة العرب.



(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨)، والذهبي في «السير» (٨/ ١٠٠).

(٢) قال العلاّمة الفوزان في: «شرح منظومة الأحسائي» (ص ٢٣): «الصفات معلومة المعنىٰ، فالعليم معناه: الذي يعلم الأشياء، والبصير معناه: الذي يبصر الأشياء، الحي معناه: الذي لا يموت. فمعانيها معلومة، وأما كيفيتها فمجهولة لنا، لا ندركها، فهذا الفرق بين المعنىٰ والكيفية؛ المعنىٰ معلوم، والكيفية مجهولة». اهـ.



[ذكر بعض الأسماء والصفات]

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَنَّـــه أَوَّلُ بَـــاقٍ فَلَـــيْسَ لَـــهُ ... بِـدْءٌ وَلَا مُنْتَهَـىٰ سُـبْحَانَ مَـنْ قَـدَرَا

حَـــيٌّ عَلِـــيمٌ قَـــدِيرٌ وَالْكَـــلَامُ لَـــهُ ... فَـرْدٌ سَـمِيعٌ بَصِـيرٌ مَـا أَرَادَ جَـرَىٰ

وَأَنَّ كُرْسِـــيَّهُ وَالْعَـــرْشَ قَـــدْ وَسِـــعَا ... كُـلَّ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِـينَ إِذْ كَبِـرَا

وَلَـمْ يَـزَلْ فَـوْقَ ذَاكَ الْعَـرْشِ خَالِقُنَـا ... بِذَاتِـهِ فَاسْـأَلِ الْـوَحْيَيْنِ وَالفِطَـرَا

إِنَّ العُلُـوَّ بِـهِ الأَخْبَـارُ قَـدْ وَرَدَتْ ... عَـنْ الرَّسُـولِ فَتَـابِعْ مَـنْ رَوَىٰ وَقَـرَا

فَاللهُ حَقٌّ عَلَىٰ المُلْكِ احْتَوَىٰ وَعَلَىٰ الْـ ... ـعَرْشِ اسْتَوَىٰ وَعَنْ التَّكْيِيفِ كُنْ حَذِرَا

الشرح:

البيت الأول هو كذلك في باب الأسماء والصفات، ودليله قول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، وعند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَالآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْت البَاطِنُ فَلَيْسُ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١)، فهذه أسماء حُسنىٰ وصفات عليا لله تعالىٰ.

ثم قال: (**حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ**): فالحي اسم من أسماء الله تعالىٰ،

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٣).

ويشتق منه صفة الحياة، ومن أدلة صفة الحياة قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: أنه سبحانه دائم الحياة، حياة لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء ولا يعتريها نقص، الحياة الكاملة المكملة بصفات الجمال والكمال من السمع والبصر والخلق والإرادة والبقاء، أما غير الله كما يذكر أهل العلم: إما حي يموت، أو ميت لا حياة له، أو جماد ليس له حياة.

وكذلك صفة العلم، فالله لا تخفىٰ عليه خافية، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو كما قال عن نفسه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وعِلْمُ الله لم يسبقه جهل ولا يعتريه نسيان، وأما علم البشر فهو قاصر، وعلم الله كامل محيط بكل شيء، وإيمان العبد بأن الله عليم يقتضي تحقيق العبودية لله بالمراقبة؛ والإنابة والتوبة والإحسان والخشية من الله، وعدم عصيان الله؛ لأن الله كثيرًا ما يختم الآيات بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾ [آل عمران: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ أي: يعلم السر وأخفىٰ سبحانه.

أما قوله: (**قَدِيرٌ**): فهذا اسم يدل علىٰ ثبوت القدرة لله، ومنه صفة القدرة؛ أي: أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والإيمان بقدرة الله يقتضي الإيمان بكمال قدرته والتوكل عليه سبحانه في كل حين، والالتجاء إليه، فالله لا يتعاظم عليه شيء ولا يعجزه شيء؛ لأنه علىٰ كل شيء قدير.

قوله: (**وَالْكَلَامُ لَهُ**): فيه إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ، فهو سبحانه يتكلم بما شاء ومتىٰ شاء كلامًا يليق بجلاله سبحانه، وكلام الله ليس ككلام غيره؛ لأجل اختلاف صفاته عن صفات غيره، وكلام الله يسمعه من شاء من خلقه، سمعه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وسمعه موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والله يوم القيامة يكلم الناس جميعًا،

ويخاطبهم واحدًا واحدًا(١)، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام لله، خلافًا لأهل الضلال والبدع من الجهمية، أتباع جهم بن صفوان(٢)، والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء(٣)، وكذلك الأشاعرة(٤)، وكلهم ينفون الكلام عن الله ويزعمون أنهم ينزهون الله عن صفة الكلام، كما يزعمون أنهم ينزهون الله عن صفة السمع والبصر، ويقولون: أن هذه من صفات المخلوقين، فإذا أثبتنا لله ذلك فإننا نكون قد شبهنا الله بخلقه، وهذا من جهلهم وبُعدهم عن نصوص الوحيين، فنرد عليهم: بأن قولهم باطل؛ فإن صفات الله جميعها تليق بجلاله وعظمته، وصفات

---

(١) قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرجُمَانٌ**». رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، قتله سلْم بن أحوز سنة ١٢٨ هـ. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٦)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ١٥٩).

(٣) كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إلىٰ عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، وقد افترقت المعتزلة لفرق شتىٰ، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإسلام وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأرادوا بهذه المسميات معانيَ باطلة. انظر: «السير» للذهبي (٥/ ٤٦٤)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٥٣٧- ٥٣٩).

(٤) نسبة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، نشأ علىٰ مذهب المعتزلة، وتتلمذ علىٰ يد أبي علي الجبائي، ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريق ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلىٰ مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وأَلَّف بعض الكتب في مذهب أهل السنة والجماعة، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، توفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: «ويقال: بقي إلىٰ سنة ثلاثين وثلاثمائة». «السير» (١٥/ ٨٥). انظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٤٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٨٧).

المخلوقين تليق بهم، ولا تماثل بين الأمرين، فلا يلزم من إثبات الصفات إثبات التماثل، ودليلنا في ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، وفي الآية نفي المماثلة وإثبات صفة السمع والبصر، والله تعالىٰ في كتابه العزيز يصرح بأنه يتكلم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالله لا يماثله شيء من خلقه لافي ذاته ولا في سمعه ولا في بصره، وسبب ضلال هؤلاء القوم أنهم ضلوا أولًا حين شبَّهوا الله ومَثَّلوه بالمخلوقات، ثم جرهم ذلك إلىٰ التعطيل(١) فعطلوا صفات الله ثانيًا، أما أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبت الله لنفسه دون تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تأويل.

وكلام الله عند أهل السنة ينقسم إلىٰ قسمين:

١- كلام كوني قدري.

٢- وآخر شرعي ديني.

فمن الكوني القدري: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وأما كلام الله الشرعي: فهو في تفاصيل ما شرع الله علىٰ خلقه من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، فهذا كلام ديني شرعي، فوجب الإيمان والتسليم بكل ذلك.

وقول الناظم: (فَرْدٌ)(٢)؛ أي: لا نِدَّ له سبحانه، وهذا من عظمته عَزَّوَجَلَّ

---

(١) التعطيل هو: «نفي الاسم أو نفي الصفة، أو نفي معنىٰ الاسم أو الصفة».

(٢) الفرد ليس من أسماء الله؛ قال الشيخ أحمد بن قذلان المزروعي: «ليس من أسماء الله، ولكن من باب الإخبار، وقد ورد حديثٌ ضعيف في ذلك رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٦٠): «**أَشْهَدُ أَنَّكَ فَرْدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ**». انظر: «شرح نظم الرسالة» (ص ٩).

حيث إنه لا مثيل له، متفرد بصفات الكمال والجلال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن دلائل تفرده سبحانه أن من أسمائه: الأحد والواحد والوتر، كل هذه دلالة علىٰ تفرده بالجلال والكمال والعظمة.

وقول الناظم: (**سَمِيعٌ**): والسميع من أسماء الله الحسنىٰ، وجاء ذكره في كثير من الآيات، وهو يدل علىٰ ثبوت السمع صفة لله تعالىٰ علىٰ وجه الكمال والجمال، فسمع الله يسع كل الخلائق، فما علا وارتفع من صوت أو خفي فالله يسمعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل إن الله لا تختلط عليه أصوات المتكلمين مهما كثروا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**تَبَارَكَ اللهُ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ**»(١)، وذلك في حديث المجادلة عن زوجها عند النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قريبه من الحوار ولا تكاد تسمع كلامها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العالي علىٰ عرشه يسمع كلامها، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١]، وإذا أثبتنا السمع لله فعلينا أن نعمل بمقتضىٰ هذا الاسم والفعل لله ومن ذلك سلامة ألسنتنا حين نتكلم.

وقوله: (**بَصِيرٌ**): فيه إثبات اسم البصير لله تعالىٰ، وإثبات البصر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يليق بالله تعالىٰ، فله بصر يبصر به جميع الأشياء، يبصر دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصَّمَّاء في الليلة الظلماء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥]، يبصر حركات المخلوقات في جوف الأرض والبحار والأجِنَّة في بطون أمهاتها، فإذا أثبتنا صفة البصر لله تعالىٰ علينا أن نعمل بمقتضاها بأن لا نُري الله منَّا إلا ما يحب ويرضىٰ سبحانه.

ثم ختم الناظم هذا البيت بقوله: (**مَا أَرَادَ جَرَىٰ**)؛ أي: كل شيء يريده الله

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (١٦٩١)، انظر: «الإرواء» (٧/ ١٧٥).

يجري ويقع كما أراده الله سبحانه.

وهذا فيه إثبات الإرادة لله؛ وهي علىٰ قسمين:

١- كونية قدرية.

٢- وشرعية دينية.

ومراد الناظم هنا في هذا السياق الإرادة الكونية القدرية؛ أي: ما يريده الله كونًا وقدرًا يقع ولا يتخلف، وأما الإرادة الشرعية الدينية وهي مما أمر الله به عباده وشرعه لهم، فمنهم من يقوم بها، ومنهم من لا يقوم بها، وهم مع ذلك يوافقون الإرادة الكونية القدرية لا محالة، فإن الله قد علم أفعالهم قبل خلقهم، وكتب ذلك في كتابه المحفوظ، ثم يجازيهم يوم البعث علىٰ أفعالهم فهم بين ضالٍّ ومهتدٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، فمن آمن وعمل صالحًا وأخذ بالهداية الشرعية نجا من الضلالة، ومن لم يؤمن ويعمل الصالحات وردَّ الهداية الشرعية وخالفها حَقَّت عليه الضلالة، والله يوفي كلًّا بعمله، وما الله بظلام للعبيد، جل في علاه تبارك وتعالىٰ.

ثم قال: (**وَأَنَّ كُرْسِيَّهُ وَالْعَرْشَ**): الكرسي والعرش هما أكبر وأعظم المخلوقات لله تعالىٰ، فجاء وصف العرش في القرآن: بالعظيم، والمجيد، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩]، ففي هذا دلالة علىٰ عظمة العرش وكبره وسعته، وأنه أكبر المخلوقات وهو سقفها وأعلاها، وقد ذكر الله عن الكرسي في آية الكرسي بقوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والكرسي علىٰ عِظَمِهِ نسبته في العرش كحلقة ألقيت في فلاة[١]؛ أي: حلقه رميت

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٢٢٣).

في صحراء مترامية الأطراف.

الكرسي[(١)] وسع السموات والأرض، والعرش وسع الكرسي، ففي هذا بيان لعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو سبحانه المستوي علىٰ هذا العرش العظيم بذاته، استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته؛ أي: عالٍ مرتفع فوق عرشه، فشأن الله عظيم وهو سبحانه لا شيء أكبر منه.

ولا بد هنا أن نقول: بذاته؛ أي: الله مستوٍ علىٰ عرشه بذاته، وفي هذا ردٌّ علىٰ بعض أهل البدع ممن يقولون باستواء الله علىٰ عرشة ثم يؤَوِّلون ذلك بأن استواءه ليس بذاته، تعالىٰ الله عن قول المبطلين.

فصار من عقيدة أهل السنة والجماعة التأكيد بقول: استواء الله بذاته.

وقد أخبر الله عن علوه فوق خلقه ثم استوائه فوق عرشه في كتابه العزيز في سبع مواضع، ولهذا قال: (**فَاسْأَلِ الْوَحْيَيْنِ وَالفِطَرَا**)؛ أي: اذا أردت ورمت معرفة الدليل عن خبر علوه، ثم استوائه علىٰ عرشه فإنه قد جاء ذكر ذلك في الوحيين: الكتاب والسنة، وتجد ذلك كذلك مغروزًا في فِطَرِ العباد، ولا يُنكر ذلك من سلِمت فطرته، كما يذكر في حوارٍ بين الجويني[(٢)] وتلميذه الهمداني[(٣)]، وذلك عندما تكلم الجويني بكلام تضمن إنكار علو الله تعالىٰ، قال له الهمداني: «دعنا من هذا وأخبرني عن أن كل من أراد الدعاء رفع يديه إلىٰ السماء وعلا بصره إلىٰ

---

(١) والكرسي كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ**»؛ أي: قدمي الرب سبحانه. رواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٦١)، وإسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، كما قال الألباني في «مختصر العلو» (١٠٢).

(٢) أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني الشافعي، إمام الحرمين، مات سنة (٤٧٨ هـ).

(٣) أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن الهمداني، مات سنة (٥٣١ هـ).

السماء»، فصاح الجويني قائلًا: «لقد حيرني الهمداني، لقد حيرني الهمداني»[(١)].

ثم زاد الناظم في إثبات صفة العلو بقوله: (**إِنَّ العُلُوَّ بِهِ الأَخْبارُ قَدْ وَرَدَتْ**): هنا تأكيد عن صفة علو الله بدليل الأخبار الواردة في الكتاب والسنة، ولا ينكر ذلك بعد تواتر الأخبار إلا ضالٌّ مُضل، أو كافر بما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأما من أراد الحق فعليه بالفقه في دين الله، ولذلك قال الناظم هنا: (**فَتَابِعْ مَنْ رَوَىٰ وَقَرَا**)؛ بمعنىٰ: عليه متابعة علماء الأمه بما نقلوا ورووا في الدواوين والصحاح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مما تواترت به الأخبار في هذا، وعليه أيضًا التعلُّم والعكوف علىٰ كتب السلف، فليس من تعلم وقرأ طالبًا الهداية، كمن جهل وركن إلىٰ العقل والهوىٰ واتبع أهل الضلال، فكيف نترك كلام المعصوم وهو النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي لا ينطق عن الهوىٰ[(٢)]، ونركن إلىٰ كلام المتكلمين الضالين عن سبيل العلم واليقين، وفي هذا التحذير من رد الحق والركون إلىٰ الباطل والله المستعان.

ثم قال: (**فَاللهُ حَقٌّ عَلَىٰ المُلْكِ احْتَوَىٰ وَعَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**): وفي هذا مزيد تأكيد في إثبات علو الله واستوائه علىٰ عرشة، فالله حق- بلا ريب ولا شك- أنه علا وارتفع واستوىٰ علىٰ عرشه، استواءً يليق بجلاله وعظمته وكماله سبحانه.

ثم حذَّر الناظم من أقاويل أهل الباطل الذين ينكرون الاستواء ويفسرونه

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ». «مختصر العلو» (ص ٢٧٧).

(٢) قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «أوَكُلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبرائيل علىٰ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لجدله؟!». قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «رواه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٩٥) بنحوه، وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ٩٤/ ١) عن الطباع به. وسنده صحيح». «مختصر العلو» (ص ١٤٠).

بقولهم الاستواء هو: الاستيلاء! وما وقعوا في ذلك إلا حينما خاضوا بعقولهم وأفهامهم وقالوا: كيف استوىٰ؟ وهذا لا يقوله إلا متشكك مرتاب، أو أعجمي ما عرف لغة القرآن، فقال: (**وَعَنْ التَّكْيِيفِ كُنْ حَذِرًا**)؛ أي: لا تقل: كيف استوىٰ؟ فأهل السنة يفوضون الكيف فقط؛ أي: لا يخوضون في معنىٰ الكيف، ويعلمون المعنىٰ؛ لأن المعنىٰ ورد في لغة العرب، وذلك خلافًا لأهل الضلال والبدع من المتكلمين الذي عمدوا إلىٰ التأويل في صفات الله، والتأويل الذي هو بمعنىٰ تحريف المعنىٰ عن ظاهره، فهذا باطل حَذَّر منه أهل السنة والجماعة(١).



(١) أقوال الأئمة في علو الله:

قال مالك: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء». وسنده صحيح. انظر: «مختصر العلو» (١٤٠).

قال أبو حنيفة: «ونقرُّ بأن الله علىٰ عرشه استوىٰ». انظر: «الوصية» لأبي حنيفة (ص ٣٨).

قال الشافعي: «وأن الله علىٰ عرشه في سمائه». «مختصر العلو» (١٧٦)، «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢٤٠).

قال أحمد: «نحنُ نؤمن بأن الله علىٰ العرش كيف شاء وكما شاء». أورده ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٠).



[علم الله محيط بكل شيء]

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَاللهُ بِالْعِلْمِ فِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ لَا ... يَخْفَاهُ شَيْءٌ سَمِيعٌ شَاهِدٌ وَيَرَىٰ

وَأَنَّ أَوْصَافَهُ لَيْسَتْ بِمُحْدَثَةٍ ... كَذَاكَ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَىٰ لِمَنْ ذَكَرَا

وَأَنَّ تَنْزِيلَهُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ ... كَلَامُهُ غَيْرُ خَلْقٍ أَعْجَزَ الْبَشَرَا

وَحْيٌ تَكَلَّمَ مَوْلَانَا الْقَدِيمُ بِهِ ... وَلَمْ يَزَلْ مِنْ صِفَاتِ اللهِ مُعْتَبَرَا

يُتْلَىٰ وَيُحْمَلُ حِفْظًا فِي الصُّدُورِ كَمَا ... بِالْحَظِّ يُثْبِتُهُ فِي الصُّحُفِ مَنْ زَبَرَا

الشرح:

قوله: (**وَاللهُ بِالْعِلْمِ فِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ**): فالله بعلمه في كل مكان لإحاطة علمه بكل شيء، فالله يعلم كل ما في الكون لا تخفىٰ عليه خافية، ولهذا قال: (**لَا يَخْفَاهُ شَيْءٌ**)، فسبحانه! يرىٰ جميع المخلوقات، ويسمع كل أقوالهم، ويعلم كل أحوالهم، لا يعجز عن ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع استوائه وعلوه علىٰ عرشه، فلا يمنعه علوه علىٰ عرشه إحاطته بسماعهم وعلمه بأحوالهم، فهذا ما يقرره الناظم في هذا البيت بقوله: (**سَمِيعٌ شَاهِدٌ وَيَرَىٰ**)، ودليل ذلك ما جاء في سورة الحديد من قول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]، فقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾؛ أي: الله فوق العرش وعلمه في

كل مكان، وهذا ما يُنقل عن أئمة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فعلم الله في كل مكان، ولا يخلو مكان من علمه، هذا ما يقرره السلف في عقيدتهم، وهو الحق، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥]، فعلم الله وسمعه وبصره محيط بكل شيء مع استوائه علىٰ عرشه عَزَّوَجَلَّ، ومع علم الله بكل شيء فقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١].

قوله: (**وَأَنَّ أَوْصَافَهُ ...**): في هذا البيت ردٌّ علىٰ أهل الضلال، وتقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة صفات الله تعالىٰ وأسمائه، وردٌّ علىٰ المعطلة بتقرير أن جميع أسماء الله وصفاته قديمة أزلية، فقال: (**لَيْسَتْ بِمُحْدَثَةٍ**)؛ أي: ليست بمخلوقة، فهي أسماء وصفات لذات الله، ولا يلزم من قِدَم الأسماء والصفات أن تكون شريكة له، وما يقول ذلك إلا أهل الضلال والأفهام السقيمة، الذين ما عرفوا الله حق المعرفة لعدم اعتمادهم في معرفة ذلك علىٰ نصوص الشرع، فهم يتخبطون في فهومهم العقلية، بمحاكاتهم لأرباب الفلسفة والمناطقة من الكفرة والمارقين الجهلة، فهم يقولون بجهلهم: أننا إذا أثبتنا أزلية أسمائه وصفاته؛ نقع في تعدد القدماء، ويلزم من ذلك أن لله له شريكًا، وهذا قول باطل مردود بما جاء في نصوص الوحيين والحمد لله[(١)].

وقوله: (**وَأَنَّ تَنْزِيلَهُ القُرْآنَ أَجْمَعَهُ كَلَامُهُ ...**): يُبيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا أن القرآن

---

(١) انظر: «شرح منظومة الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٤١).

كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه وحي مُنَزَّل من الله، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به وسمعه منه جبريل ونزل به إلىٰ نبينا مُحمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن من صفات الله الكلام(١)، فهو سبحانه يتكلم إذا شاء وبما شاء ومتىٰ شاء، فالكلام من الصفات الفعلية لله تعالىٰ، كما دلت علىٰ ذلك أدلة الكتاب والسنة، وَأَجْمَعَ أهل الإسلام علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقوله: (غَيْرُ خَلْقٍ): هذا فيه رد علىٰ أهل الباطل الذين يقولون: أن القرآن مخلوق، وأنه ليس بكلام الله، وهذا القول ترده الآيات الصريحة في القرآن؛ قال تعالىٰ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال أيضًا: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، فهو كلام الله، منزل ليس بمخلوق.

فأثبت لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكلام بما يليق بجلاله، وأن الكلام صفة فعلية لله تعالىٰ، يفعلها إذا شاء ومتىٰ شاء.

ثم قال: (أَعْجَزَ البَشَرَ): فالقرآن معجز في كل آياته، وهو أعظم معجزة لرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد تحدىٰ الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، وهذا التحدي لكل منكر أن القرآن كلام الله إلىٰ أن تقوم الساعة.

قوله: (وَحْيٌ)؛ أي: القرآن وحي من الله، (تَكَلَّمَ)؛ أي: أن الله الذي تكلم

---

(١) انظر: «شرح منظومة الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٤٢- ٤٩)؛ ففيه بيان نافع ماتع لصفة الكلام.

بالقرآن بحرف وصوت، وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم بلغه جبريل إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ١٩ – ٢٠]، وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفي سورة «الحاقة» أضاف الله القرآن إلىٰ مُحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠].

وقوله: (**مَوْلَانَا**): هو الله، والمولىٰ والولي من أسماء الحسنىٰ.

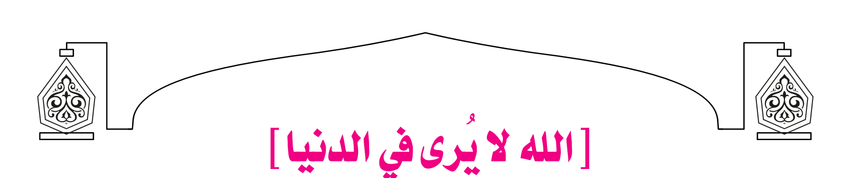
وقوله: (**الْقَدِيمُ**)[(١)]: فليس من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والمراد بذلك هنا: الأول الذي ليس قبله شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أي: الْقِدَم المطلق، فالله كما قال عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، وكلها من أسماء الله تعالىٰ.

وقوله: (**وَلَمْ يَزَلْ مِنْ صِفَاتِ اللهِ مُعْتَبَرًا**)؛ أي: لا زال القرآن معتبراً من صفات الله الفعلية.

وقوله: (**يُتْلَىٰ وَيُحْمَلُ حِفْظًا فِي الصُّدُورِ**)؛ أي: القرآن يتلىٰ بالألسن، ويحفظ في الصدور، (**كَمَا بِالْحَظِّ يُثْبِتُهُ فِي الصُّحُفِ مَنْ زَبَرَ**)؛ أي: يُخط ويكتب في المصاحف.



(١) القديم ليس من أسماء الله، إنما يُخبر به عن الله خبراً، لا يسمىٰ به، لكن يخبر عنه بذلك إخبارًا فقط. «شرح منظومة الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٥١).



[الله لا يُرى في الدنيا]

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَنَّ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللهِ كَلَّمَهُ ... إِلَهُهُ فَوْقَ ذَاكَ الطُّورِ إِذْ حَضَرَا

فَاللهُ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ ... مِنْ وَصْفِهِ كَلِمَاتٍ تَحْتَوِي عِبَرَا

حَتَّىٰ إِذَا هَامَ سُكْرًا فِي مَحَبَّتِهِ ... قَالَ الْكَلِيمُ: إِلَهِي أَسْأَلُ النَّظَرَا

إِلَيْكَ، قَالَ لَهُ الرَّحْمَنُ مَوْعِظَةً ... أَنَّىٰ تَرَانِي وَنُورِي يُدْهِشُ الْبَصَرَا

فَانْظُرْ إِلَىٰ الطُّورِ إِنْ يَثْبُتْ مَكَانَتَهُ ... إِذَا رَأَىٰ بَعْضَ أَنْوَارِي فَسَوْفَ تَرَىٰ

حَتَّىٰ إِذَا تَجَلَّىٰ ذُو الْجَلَالِ لَهُ ... تَصَدَّعَ الطُّورُ مِنْ خَوْفٍ وَمَا اصْطَبَرَا

الشرح:

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر كلام الله بالوحي الإلهي بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن الكلام المباشر بين الله ورسله إنما خص به موسىٰ كليم الله فقال: (وَأَنَّ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللهِ كَلَّمَهُ)(١)، وكلمه دون أن يرىٰ موسىٰ ربَّه؛ لأن هذه مستحيلة

(١) كلمه الله تكليمًا علىٰ طور سيناء، لما جاء من مَدين ومعه أهله، وضل الطريق في الليل، والليل بارد، رأىٰ نارًا وفرح بها، فأجلس أهله، وذهب يريد أن يأتيهم بمن يدلُّه علىٰ الطريق؛ ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾، ويأتيهم أيضًا بشهاب قبس لعلهم يصطلون؛ لأنهم يشتكون البرد.

فلما وصل، قرب من النار ناداه الله سبحانه: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾
=

في الدنيا، وإنما ذلك في الآخرة لعباد الله المُتقين من أهل الجنة، قال الناظم:

أَنَّـــىٰ تَرَانِـــي وَنُـــورِي يُـــدْهِشُ الْبَصَـــرَا

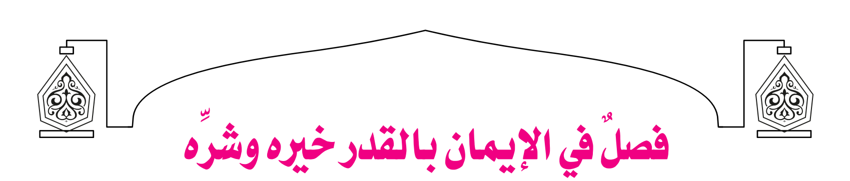
قوله: (**سُكْرًا**): هذه كلمة ما كان ينبغي أن يأتي بها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنها لا تليق، وهي معروفة عند المتصوّفة، والمراد أن موسىٰ من محبته أراد النظر إلىٰ ربه: (**قَالَ الْكَلِيمُ: إِلَهِي أَسْأَلُ النَّظَرَ**) إليك، قال الله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ لأن نور الله لو رآه أهل الدنيا لأحرقهم، لا تحتمله أبصار أهل الدنيا، وإنما الرؤية تكون يوم القيامة، فقال ربنا لموسىٰ: (**فَانْظُرْ إِلَىٰ الطُّورِ إِنْ يَثْبُتْ مَكَانَتَهُ**): فإذا تحمل الطور النظر إليَّ فستنظر أنت إليَّ، فلما تجلىٰ ربنا للجبل تصدع ودُك الجبل، ما استطاع النظر إلىٰ الله، وخر موسىٰ صعِقًا مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ولذلك قال الناظم:

حَتَّـــىٰ إِذَا تَجَلَّـــىٰ ذُو الْجَـــلَالِ لَـــهُ   تَصَدَّعَ الطُّورُ مِنْ خَوْفٍ وَمَا اصْطَبَرَا



=

إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾. «شرح منظومة الأحسائي» للعلّامة الفوزان (ص ٥٣).



فصلٌ في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه

وَبِالْقَضَـــاءِ وبِالْأَقْـــدَارِ أَجْمَعِهَـــا إِيْمَانُنَـا وَاجِــبٌ شَـرْعًا كَمَـا ذَكَـرَا

فَكُـــلُّ شَـــيْءٍ قَضَـــاهُ اللهُ فِـــي أَزَلٍ طُـرًّا وَفِـي لَوْحِـهِ الْمَحْفُـوظِ قَـدْ سُـطِرَا

وَكُـلُّ مَـا كَـانَ مِـنْ هَـمٍّ ومِـنْ فَـرَحٍ وَمِـنْ ضَـلَالٍ وَمِـنْ شُـكْرَانَ مَـنْ شَـكَرَا

فَإِنَّـــهُ مِـــنْ قَضَـــاءِ اللهِ قَـــدَّرَهُ فَـلَا تَكُـنْ أَنْـتَ مِمَّـنْ يُنْكِـرُ الْقَـدَرَا

وَاللهُ خَـــالِقُ أَفْعَـــالِ الْعِبَـــادِ وَمَـــا يَجْـرِي عَلَـيْهِمْ فَعَـنْ أَمْـرِ الْإِلَـهِ جَـرَا

فَفِـــي يَدَيْـــهِ مَقَـــادِيرُ الْأُمُـــورِ وَعَـــنْ قَضَـائِهِ كُـلُّ شَـيْءٍ فِـي الْـوَرَىٰ صَـدَرَا

فَمَـنْ هَـدَىٰ فَـبِمَحْضِ الْفَضْـلِ وَفَّقَـهُ وَمَـنْ أَضَـلَّ بِعَـدْلٍ مِنْـهُ قَـدْ كَفَـرَا

فَلَـيْسَ فِـي مُلْكِـهِ شَـيْءٌ يَكُـونُ سِـوَىٰ مَـا شَـاءَهُ اللهُ نَفْعًـا كَـانَ أَوْ ضَـرَرَا

الشرح:

من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ.

أما القضاء: فهو الحكم.

وأما القدر في اللغة: فهو التقدير، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ويقول أهل العلم: أن القضاء والقدر أمران متباينان إن اجتمعَا، ومترادفان إن افترقَا، فإذا قيل: هذا قدر الله فهو شامل للقضاء، أما إذا ذُكِرَا معًا فيكون معنىٰ القدر: هو ما قدره الله تعالىٰ أن يكون في خلقه في الأزل، ويكون

القضاء: هو بمعنىٰ ما قضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به في خلقه من الإيجاد أو العدم، فيكون القدر سابقًا للقضاء.

والإيمان بالقدر واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة، فلا يتم الإيمان إلَّا به، وهذا ما أراده الناظم بقوله:

وَبِالْقَضَـاءِ وبِالْأَقْـدَارِ أَجْمَعِهَـا ... إِيْمَانُنَـا وَاجِـبٌ شَـرْعًا كَمَـا ذَكَـرَا

أي: أن الله قَدَّر الأشياء قبل وقوعها، وقضاها قبل وقوعها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، فلا يكون من خيرٍ أو شرٍّ، أو طاعةٍ أو معصيةٍ، أو مرضٍ أو صحةٍ، أو فقرٍ أو غنًىٰ، فكل شيء يحصل في الكون إلَّا وهو مُقدَّر مكتوب في اللوح المحفوظ، وواقع لا محالة كما قدره الله وقضاه، فوجب الإيمان بذلك، ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر فهو كافر[1]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، وفي «الصحيحين» من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيْمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ**»[2].

فمعنىٰ قوله: (**فَكُلُّ شَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ**) أَجْمَعَهُ؛ أي: كل ما قدره الله وقضاه في الماضي البعيد أزلًا الذي لا يعلمه إلا الله، وهو من الله كائن لا محالة في الوقت الذي حدده الله، وهذه المرتبة الأولىٰ وهي: **العلم**.

وقول الناظم: (**وَفِي لَوْحِهِ الْمَحْفُوظِ قَدْ سُطِرَا**): وهذه هي المرتبة الثانية من

---

(١) «شرح منظومة الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٥٧).

(٢) رواه البخاري (٥٠)، رواه مسلم (٩).

مراتب القدر وهي: **الكتابة**، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج: ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[الحديد: ٢٢]

وقول الناظم: (**وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَمٍّ ومِنْ فَرَحٍ** ...): في هذا تفصيلٌ لبعض قضاء الله وأقداره، فكل ما يعترىٰ الخلق من المشاعر والأحاسيس، حتىٰ الهم والغم والفرح والحزن، كلها سبقت في علم الله الأزلي وكتابتها في اللوح المحفوظ، ثم هي كائنة في موعدها وزمانها المُقدر من الله تعالىٰ، وهذا إعلام من الله لخلقه بالقدر والقضاء الكائن لا محالة، وهذا مما يهوِّن علىٰ أهل الإيمان ويسلِّيهم ويصبرهم ويتقبلون الأفراح والأتراح بالرضىٰ، صابرين علىٰ الأقدار المؤلمة والمفرحة، تائبين من الزلل والخلل والمعائب والذنوب، راجعين إلىٰ الله فرحًا بأقدار الله تعالىٰ، خاضعين لله، فيهون عنده كل أمر، ويزداد إيمانه فيزداد تواضعًا وصبراً واحتسابًا، فينال بذلك الأجور العظيمة من الله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[الحديد: ٢٣].

وأما قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ مِنْ قَضَاءِ اللهِ قَدَّرَهُ** ...): ففيه التحذير من رد القضاء والقدر، فمع وجوب الإيمان والتسليم لا بد من اليقين والثبات، وحصول الحذر والخوف من رد القضاء، فإن ذلك كفر وردة ومُحبط للأعمال ومخلد في النار. أجارنا الله وإياكم من ذلك.

كما أن في البيت التحذيرَ مما ذهب إليه أهل الضلال من القدرية ومنهم الغُلاة، وهم الذين ظهروا في عهد عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في البصرة؛ **كغيلان الدمشقي ومعبد الجهني**، وغيرهما، فإنهم زعموا أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلم الأشياء إلا

بعد حصولها، وقالوا: «إنَّ الأمر أُنُف»؛ أي: مستأنف، فرد عليهم ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بقوله: «فإذا لقيت ذلك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني، والذي يَحلف به عبدالله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحدٍ ذهبًا فأنفقه ما قُبِل منه حتىٰ يؤمن بالقدر». اهـ[1].

كما أن المؤمن بالقدر علىٰ مذهب السلف عليه أن يحذر أيضًا من قول المعتزلة الذين أنكروا أن الله لا يخلق فعل العبد، وقالوا: أن العبد يخلق فعله، وكذلك يجب الحذر ممن يقابلون القدرية وهم من أهل الضلال أيضًا وهم الجبرية، وكذلك ينبغي الحذر من كل ضال في هذا الباب، والثبات علىٰ منهج السلف في هذا الأمر العظيم في العقيدة.

ثم ذكر المرتبة الثالثة وهي: **الخلق** فقال: (**وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَمَا** ...): في هذه الأبيات بيان من الناظم لعقيدة السلف في خلق أفعال العباد، فقد أثبت ذلك في قوله: (**وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ**)، فالله تعالىٰ هو خالق العباد وخالق أفعالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، وهذه هي عقيدة السلف الصالح، فما من شيء في ملك الله إلا هو خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد ضل من خالف هذه العقيدة وادعىٰ أن العبد يخلق أفعاله، فالحق أن الله خالق جميع أفعال العباد وإن كانت مشيئة خالف فيها العبد الإرادة الشرعية، لكنه وافق الإرادة الكونية، فالله خالق العبد وجميع أفعاله، ثم الله يثيبه علىٰ فعل الخير ويعاقبه علىٰ فعل الشر، والله يحكم ما يريد ولا معقب لحكمه سبحانه في خلقه ومشيئته، فكل ما يجري من العباد من أفعالهم (**إِنَّمَا بِأَمْرِ الْإِلَهِ جَرَىٰ**) كما ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ ذلك لأن الله بيده مقادير الأمور كلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه مسلم (٨).

ثم قال الناظم: (فَفِي يَدَيْهِ مَقَادِيرُ الْأُمُورِ وَعَنْ ...): فالله سبحانه يخلق العباد وأفعالهم، ويقدر أهل الخير للخير والعمل الصالح الذي يحبُّه الله، ويقدر أهل الشر للشر والعمل السيِّئ، وكما جاء في «الصحيحين» من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾»[1].

فالله يكرم العبد أو يعذبه علىٰ أفعاله، لا علىٰ القضاء والقدر، إنما علىٰ فعله هو، قال تعالىٰ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾[النحل: ٣٢].

إلىٰ أن قال الناظم بعد ذلك: (فَمَنْ هَدَىٰ فَبِمَحْضِ الْفَضْلِ وَفَّقَهُ ...): وصدق الناظم في قوله؛ فمن هُديَ إلىٰ الخير والصلاح فإنما ذلك فضل من الله عليه، ومنَّة منه علىٰ عبده؛ إذا آمن بالله حصل له أعظم نِعم الله علىٰ عباده، نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالىٰ عن الأعراب: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾[الحجرات: ١٧].

وهكذا أيضًا من أضلَّه الله ثم عذَّبه الله علىٰ ضلاله، فبعدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله إنما يعذبه لمعصيته أو لكفره، ولا يعذبه لأنه قدَّر ذلك عليه، بل يعذبه لأنه هو الذي عصىٰ أو كفر، فالعاصي والفاسق والكافر تُنسب إليه أقواله وأفعاله، وكذلك الصالح والطائع تُنسب إليه أقواله وأفعاله، فالله عدل يُحب العدل، ويعامل

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

بالعدل حينًا وبالفضل أحيانًا، فمن تعرض للطاعة وسعىٰ عاملًا بها تفضَّل الله عليه وعامله بما هو أهله، ومن تجرأ علىٰ المعاصي والكفر جازاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أفعاله عدلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يُحب العدل، شرعه لعباده ويقيمهم ويجازيهم بذلك؛ لأن الله له الملك كله، فلا شيء يكون في ملكه إلا بأمره، ولذلك ختم الفصل بذكر المرتبة الرابعة وهي: **المشيئة**:

فَلَيْسَ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ يَكُونُ سِوَىٰ مَا شَاءَهُ اللهُ نَفْعًا كَانَ أَوْ ضَرَرَا(١)

فلا بدَّ من كمال العبودية لله؛ أي: الخضوع التام لأمر الله الشرعي والكوني، فكل من في الكون عبد لله قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝﴾[مريم: ٩٣].



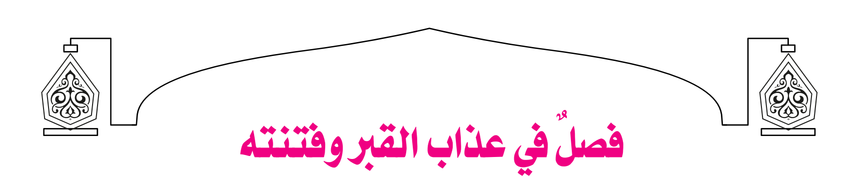
(١) فهُنا أربعة أمور ذكرها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ومراتب القدر: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق.

الأولىٰ: علم الله الأزلىٰ بكل ما هو كائن جملةً وتفصيلًا: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثانية: كتابة الله تعالىٰ لجميع ما يكون في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [يس: ١٢].

الثالثة: مشيئة الله وإرادته لكل ما يقع في الكون: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ [الأنعام: ٣٩].

الرابعة: الخلق: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝﴾[الزمر: ٦٢].



فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

وَلَمْ تَمُتْ قَطُّ مِنْ نَفْسٍ وَمَا قُتِلَتْ ... مِنْ قَبْلِ إِكْمَالِهَا الرِّزْقَ الَّذِي قُدِرَا

وَكُلُّ رُوحٍ رَسُولُ الْمَوْتِ يَقْبِضُهَا ... بِإِذْنِ مَوْلَاهُ إِذْ تَسْتَكْمِلُ العُمُرَا

وَكُلُّ مِنْ مَاتَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَتَنٌ ... مِنْ حِينِ يُوضَعُ مَقْبُورًا لِيُخْتَبَرَا

وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ فِي ... جَنَّاتِ عَدْنٍ كَطَيْرٍ يَعْلَقُ الشَّجَرَا

لَكِنَّمَا الشُّهَدَا أَحْيَا وَأَنْفُسُهُمْ ... فِي جَوْفِ طَيْرٍ حِسَانٍ تُعْجِبُ النَّظَرَا

وَأَنَّهَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ سَارِحَةٌ ... مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي تَجْنِي بِهَا الثَّمَرَا

وَأَنَّ أَرْوَاحَ مَنْ يَشْقَىٰ مُعَذَّبَةٌ ... حَتَّىٰ تَكُونَ مَعَ الْجُثْمَانِ فِي سَقَرَا

الشرح:

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، وهذا بسبب أعمالهم.

فأهل السنة والجماعة يستدلون علىٰ ذلك بما جاء في الوحيين من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فالقبر عند أهل الإيمان إما روضة من رياض الجنة يتنعَّم فيه واردُه من أهل التقوىٰ والاستقامة، أو حفرة من حفر النار علىٰ أهل الكفر والنفاق والمعاصي(١)، جاء في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك

(١) قال العلَّامة الفوزان- حفظهُ الله-: «الذي في القبر دائمًا الجسم، أما الروح فهي تذهب =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ – لِمُحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؟ – فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»، قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أنَّه يُفْسَحُ له فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(١).

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ . فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ – زاد في حديث جرير: فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيَةَ. قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّة، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدُّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ – فَذَكَرَ مَوْتَهُ – ثُمَّ قَالَ: وَتُعَادُ

=

وتأتي، تتصل بالجسم، وهو في القبر، وتذهب وتأتي فهي طليقة، بخلاف الجسم؛ فإنه محبوس في هذا القبر، والروح تأتيه أحيانًا وتذهب أحيانًا، وتذهب إما إلىٰ الجنة، وإما إلىٰ النار». «شرح منظومة الأحسائي» (ص ٦٨).

(١) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) بنحوه.

رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهٍ هاه! لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هاهٍ هاه! لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هاهٍ هاهٍ! لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ كَذِبَ، فَأَفرِشُوهُ مِنْ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا. قَالَ: وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا. قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا. قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرَّوحُ»[(١)]، «وَأَمَّا حَالُ الْمُنَافِقِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا الْمُرْتَابِ فِي دِينِهِ؛ فَإِنَّهُ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ يَقُولُ: لَا أَدْرِي!»، فَهَذَا شَاكٌّ فِي دِينِ اللهِ، فَهُنَا يَغِيبُ عَنْهُ الْجَوَابُ، فَيُرَدِّدُ: «هاهٍ هاهٍ! لَا أَدْرِي! سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: كَذِبَ، فَأَفْرِشُوهُ فِي النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا. قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهُ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَكَانُكَ إِلَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ اللهُ».

ومن أدلة عذاب القبر في القرآن: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾[إبراهيم: ٢٧]، وقد ثبت في «السنن» من حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ»[(٢)].

وفتنة القبر هي: الاختبار في القبر، حيث يُسأل العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ أو: من هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ وما علمك؟ فالمؤمن يقول: ربي

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي (٢٠٠١)، «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، والترمذي (٣١٢٠)، وغيرهم.

الله، وديني الإسلام، ونبيي مُحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعن علمه يقول: قرأت كتاب الله وعلمت ما فيه، وآمنت بالله وصدقت، وأما الكافر فيقول: آه آه، أو: هاهٍ هاهٍ لا أدري! وأما المنافق فيقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته؛ لأنه قالها نفاقًا، فيضل عنه بعد الموت.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَمْ تَمُتْ قَطُّ مِنْ نَفْسٍ وَمَا قُتِلَتْ** ...): هذا فيه بيان أن كل نفس منفوسة- أي: مخلوقة- فإن مآلها إلىٰ الموت لا محالة، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، فكم من يموت علىٰ سريره وآخر يُقتل وآخر ينتحر وآخر بغير ذلك، كل هؤلاء انقطت آجالهم التي كتبت لهم في الحياة الدنيا، وانتهت أزمنة أرزاقهم المقدرة لهم من الله في الحياة وما بعد الحياة إلا الموت، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا**»(١).

قال الناظم: (**وَكُلُّ رُوحٍ رَسُولُ الْمَوْتِ يَقْبِضُهَا** ...): بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن ما من نفس منفوسة فيها روح إلا تقبض بإذن الله حين تمام أجلها في الدنيا، يقبِض روحها ملك الموت بإذن الله، قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[الأنعام: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[السجدة: ١١]، فمَلَكُ الموت يقبض الأرواح بإذن الله، وله رسل من الله يساعدونه علىٰ قبض الأرواح حيث كانت.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَكُلُّ مِنْ مَاتَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَتَنٌ** ...): في هذا بيان حال من مات بعد وضعه في القبر أو حيث انتهىٰ جسده، سواءً كان في أعماق

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٨٥).

البحار أو في بطون السباع أو ذر في الرياح، فكل من مات يأوي إلىٰ مجوف يقال له: القبر، فإذا ما حل في قبره أتاه بأمر الله، الملكان: مُنكر، ونكِير، وقد صحت الأحاديث بإسميهما كما روىٰ الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ- أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَر، وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرَ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**»(١)(٢).

ثم قال الناظم بعد ذلك: (**وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ فِي ...**): ففي هذه الأبيات الفصل بين الروح والجسد، فأرواح أهل السعادة من الرسل والأنبياء والشهداء والصالحين من العلماء وأهل التقوىٰ والاستقامة، فإن أرواحهم تكون كهيئة طير تسرح وتمرح في شجر الجنة، وخص منهم الشهداء فقال: (**لَكِنَّمَا الشُّهَدَا**

(١) «صحيح الترمذي» (١/ ٥٤٤)، انظر: «الصحيحة» (١٣٩١).

(٢) ثبوت عذاب القبر هو ما عليه أئمة الحديث والسنة، والسلف الصالح من الأمة، وقد دل علىٰ ذلك القرآن وتواترت به الأخبار، وأنكرت ذلك المعتزلة المبتدعة، والخوارج الجهلة، وغيرهم.

أَحْيَا وَأَنْفُسُهُمْ ...): وهذا استثناء لهؤلاء الأبرار الذين قدموا أرواحهم في جهاد في سبيل الله، فهم في منازل عالية يسرحون بين الجنان. نسأل الله من فضله.

وعند مسلم من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سئل عن الشهداء، فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ** ...» الحديث[1]. كما ثبت استثناء الشهداء فيما جاء في الحديث الصحيح في «سنن النسائي»: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سئل: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشُّهَدَاءُ؟ قَالَ: «**كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً**»[2].

ومن الذين ينجون أيضًا من فتنة القبر وعذاب القبر المرابط في سبيل الله، ففي «صحيح مسلم» من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»[3].

كما أضاف أهل العلم الأنبياء في الأمن من الفتان، قالوا: هذا من باب أولىٰ لمنزلة الأنبياء العظيمة، ولأن عمل الشهيد ثمرة من عمل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما استثنىٰ العلماء أيضًا من باب الاجتهاد والاستنباط المجانين والأطفال ممن ولد علىٰ الفطرة، قالوا: إنهم لا يسألون في قبورهم لأنهم غير مكلفين.

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٢) رواه النَّسائي (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في: «أحكام الجنائز» (ص ٥٠).

(٣) رواه مسلم (١٩١٣).

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ختام هذا الباب:

وَأَنَّ أَرْوَاحَ مَـــنْ يَشْـــقَىٰ مُعَذَّبَـــةٌ حَتَّـىٰ تَكُـونَ مَـعَ الْجُثْمَـانِ فِـي سَـقَرَا

فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الأشقياء بعد الموت، وأنهم يعذبون في قبورهم في البرزخ، وأن العذاب يقع علىٰ الروح والجسد[(١)]، والله بالغ أمره وقادر علىٰ كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نسأل الله العفو والعافية والسلامة من عذاب الدنيا والآخرة، وأن يختم لنا برضوانه، وأن يجعلنا من السعداء في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه[(٢)].



---

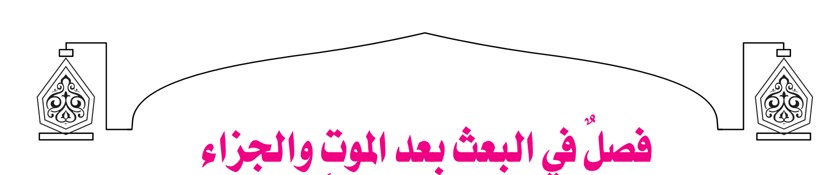
(١) وهذا ظاهر، كما في حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ**». رواه البخاري.

(٢) هذا الفصل احتوىٰ علىٰ مسائل:

الأولىٰ: أن كل نفس ملك الموت سيقبضها، ولن تموت حتىٰ تستكمل عمرها ورزقها.

الثانية: أن كل عبد مفتتن في قبره، والفتنة هي: سؤال الملكين للعبد عن دينه وربه ونبيه.

الثالثة: إثبات نعيم القبر وعذابه. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٢٠، ٢١).



فصلٌ في البعث بعد الموتِ والجزاء

وَأَنَّ نَفْخَـــــةَ إِسْـــــرَافِيلَ ثَانِيَـــــةً فِـي الصُّـورِ حَـقٌّ فَيَحْيَـا كُـلُّ مَـنْ قُبِـرَا
كَمَـــا بَـــدَا خَلْقُهُـــمْ رَبِّـــي يُعِيـــدُهُمْ سُـبْحَانَ مَـنْ أَنْشَـأَ الْأَرْوَاحَ وَالصُّـوَرَا
حَتَّـــىٰ إِذَا مَـــا دَعَـــا لِلْجَمْـــعِ صَـــارِخُهُ وَكُـلُّ مَيْـتٍ مِـنَ الْأَمْـوَاتِ قَـدْ نُشِـرَا
قَـــالَ الْإِلَـــهُ: قِفُـــوهُمْ لِلسُّـــؤَالِ لِكَـــيْ يَقْـتَصَّ مَظْلُـومُهُمْ مِمَّـنْ لَـهُ قَهَـرَا
فَيُوقَفُـــونَ أُلُوفًـــا مِـــنْ سِـــنِينِهِمُ وَالشَّـمْسُ دَانِيَـةٌ وَالرَّشْـحُ قَـدْ كَثُـرَا
وَجَـــاءَ رَبُّـــكَ وَالْأَمْـــلَاكُ قَاطِبَـــةً لَهُـمْ صُـفُوفٌ أَحَاطَـتْ بِـالْوَرَىٰ زُمَـرَا
وَجِـــيءَ يَوْمَئِـــذٍ بِالنَّـــارِ تَسْـــحَبُهَا خُزَّانُهَـا فَأَهَالَـتْ كُـلَّ مَـنْ نَظَـرَا
لَهَـــا زَفِيـــرٌ شَـــدِيدٌ مِـــنْ تَغَيُّظِهَـــا عَلَـىٰ الْعُصَـاةِ وَتَرْمِـي نَحْـوَهُمْ شَـرَرَا

الشرح:

في هذا الموضع من المنظومة ذكر الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد أركان الإيمان الستة: وهو الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بهذا الركن هو أصل في إيمان المسلم، فمن أنكر الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور فهو كافر ومُكذِّب لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا بإجماع المسلمين، وفي «الصحيحين» من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في سؤال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الإيمان، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وبِالْيَوْمِ الآخِرِ،**

وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنْ اللهِ تَعَالَىٰ»[(١)].

والنفخ في الصور من أول علامات قيام الساعة والبعث والنشور، والنفخ في الصور نفختان[(٢)]، كما دل علىٰ ذلك القرآن: الأولىٰ: نفخة الفزع، وهي الصعق، والثانية: نفخة البعث.

ونفخة الفزع وهي الصعق: فيها تنشق السماء وتنفطر وتُطوَىٰ، وتزلزل الجبال وتُنسف، ويموت الناس، إلىٰ ذلك مما ثبت في شرعنا الحنيف.

والثانية نفخة البعث: يُبعث الناس من قبورهم، ومن البحار ومن كل مكان، ويجتمعون بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يجمعهم الله في صعيد واحد يسمع كلامهم، ويقضي بينهم بحكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن أدلة النفختين قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾[الزمر: ٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[يس: ٥١، ٥٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ [الكهف: ٩٩].

ومن الأدلة البعث في السنة، ما رواه الترمذي بسند صحيح، عن علي بن أبي

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أنها ثلاث نفخات: (٤/ ٢٦٠)، (١٦/ ٣٥). وهو علىٰ خلاف؛ فمن قال نفختان: جعل الأولىٰ: للموت والفزع، والثانية: للبعث والنشور، والذين قالوا ثلاثًا: جعلوا الأولىٰ: للموت، والثانية: للفزع، والثالثة: للبعث والنشور. «شرح الشيخ حامد خميس الجنيبي علىٰ النظم» (ص ٨١). وانظر للفائدة: «فتح الباري» (١١/ ٤١٨)، و«تفسير القرطبي لسورة النمل» (١٣/ ٢٤٠).

طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ**»(١).

وأنواع الأدلة علىٰ البعث والنشور أربعة:

أولًا: الاستدلال بالعقل، وهو أن الله الذي بدأ الخلق من العدم قادر علىٰ أن يعيدهم بعد الفناء؛ قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم: ٢٧].

ثانيًا: إخراج النبات من الأرض الميتة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[فصلت: ٣٩]، ففي الآية تشبيه بليغ؛ فإن الله يوم يبعث الإنسان بعد موته من عَجْبِ الذَّنَبِ؛ كما ينبت الشجر من الأرض بقدرة الله تعالىٰ.

ثالثًا: إحياء الموتىٰ كحال صاحب البقرة؛ قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[البقرة: ٧٣].

رابعًا: خلق السموات والأرض؛ قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس: ٧٧-٨٣].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٥). قال الإمام الألباني: «سنده صحيح، وصححه الحاكم علىٰ شرطهما، ووافقه الذهبي». «المشكاة» (١/ ٣٧).

يقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ نَفْخَةَ إِسْرَافِيلَ ...): إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو المَلَكُ المُوَكَّل بالنفخ في الصُّور، والصُّور هو: قرنٌ[١] عظيم يشبه البوق، لا يعلم عظمته إلَّا الله، كما أن النافخ فيه هو إسرافيل ملك عظيم، لا يعلم عظمته إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

والنفخ في الصور يكون بإذن الله لهذا الملك؛ فينفخ نفختين، الأولىٰ هي نفخة الصعق التي بها تموت جميع الخلائق؛ قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بين ما يكون بعد قبض الأرض وطي السماء وهو النفخ في الصور، وإنما هما نفختان؛ يموت الخلق في الأولىٰ منهما ويحيون في الثانية...- إلىٰ أن قال- والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وقد قيل: إنه يكون معه جبريل لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ صَاحِبَيِّ الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا- أَوْ فِي أَيْدِيهِمَا- قَرْنَانِ يُلَاحِظَانِ النَّظَرَ مَتَّىٰ يُؤْمَرَانِ**»[٢]، أخرجه ابن ماجه في «السنن»، وفي كتاب أبي داود عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) ونصُّه: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ وَأَصْغَىٰ سَمْعَهُ ...**». «صحيح الترمذي» (٣٢٤٣)، وعند أبي داود (٤٧٢٤) والترمذي (٢٤٣٠): جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**». «الصحيحة» (٣/ ٦٨) حديث (١٠٨٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٩٨٤)، قال الإمام الألباني: «منكر». «ضعيف سنن ابن ماجه» (ص٣٥٥)، وقال العلامة عبد المحسن العباد: «في سنده ضعف، وفي متنه نكارة ...» «شرح سنن ابن ماجه» (شريط٣١٢).

صاحب الصور وقال: «**عَنْ يَمِينِهِ جِبْرَائِيلُ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِيكَائِيلُ**»[(١)].

واختلف في المستثنىٰ من هم؟[(٢)]؛ أي: في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ممن لا يُصعقون، فقيل: هم الشهداء متقلدين أسيافهم حول العرش[(٣)].

روي مرفوعًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما ذكر القشيري، ومن حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما ذكر الثعلبي. وقيل: «جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

وروي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تلا قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، فقالوا: يا نبي الله من هم الذين استثنىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «**هُمْ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، مَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِي -وَهُوَ أَعْلَمُ-؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَعَبْدُكَ الضَّعِيفُ مَلَكُ الْمَوْتِ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: خُذْ نَفَسَ إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَيَخِرَّانِ مَيِّتَيْنِ كَالطَّوْدَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ. فَيَقُولُ: مُتْ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، فَيَمُوتُ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِجِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَجْهُكَ الْبَاقِي الدَّائِمُ، وَجِبْرِيلُ الْمَيِّتُ الْفَانِي. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا جِبْرِيلُ، لَا بُدَّ مِنْ مَوْتِكَ،**

---

(١) ضعيف. رواه أبو داود (٣٩٩٩). «ضعيف سنن أبي داود» (ص ٣٢٣).

(٢) قال ابن حجر: وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال. «الفتح» (١١/ ٤١٩)، وقال شيخ الإسلام: «... فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يخبر بكل من استثنىٰ الله؛ لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر، والله أعلم». «المجموع» (٤/ ٢٦١).

(٣) قال الإمام الألباني: «ضعيف جدا». «الضعيفة» (٨/ ١٦٢) حديث (٣٦٨٥).

فَيَقَعُ سَاجِدًا يَخْفِقُ بِجَنَاحَيْهِ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ رَبِّي، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(١). اهـ(٢).

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَتَّىٰ إِذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صَارِخُهُ ...): وهذه نفخة البعث ويكون الحشر في مكان واحد بعد البعث من القبور(٣)، يَجمع الله الخلق فيه جميعًا من أولهم إلىٰ آخرهم، ويضيق الناس من الزحام، وتدنو منهم الشمس ويعرقون عرقًا شديدًا بحسب أعمالهم حتىٰ يلجم البعض في عرقه، ويمكثون في هذا المحشر خمسين ألف سنة ثم ينصرفون بعدها إلىٰ الحساب ودليل قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو قول الله تعالىٰ: ﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الروم: ٢٥]، ودليل قول الناظم:

فَيُوقَفُونَ أُلُوفًا مِنْ سِنِينِهِمُ وَالشَّمْسُ دَانِيَةٌ وَالرَّشْحُ قَدْ كَثُرَا

قول الله تعالىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾[المعارج: ٤]، وقد ذكر المفسرون أنه في هذه الآية أنه يوم القيامة بعد بعث الأموات من قبورهم، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «يوم القيامة»، وإسناده صحيح(٤)، ورواه الثوري، عن سماك بن حرب، عن عكرمة: «يوم القيامة»(٥)، وكذا قال الضحاك وابن زيد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ(٦).

---

(١) سنده ضعيف، كما ذكر الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٧١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣١٠،٣١١).

(٣) والمكان هو الساهرة، قال الله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]، والساهرة من أرض الشام. «شرح منظومة الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٧٧).

(٤) (٥) (٦) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١٢). وهذا هو القول الرابع في تأويل الآية، كما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١١).

وعن علىٰ بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «فَهَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[(١)]، وعن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، ما أطول هذا اليوم؟ يتعجبون ويخافون من طوله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا**»، رواه ابن جرير[(٢)].

فهذا يوم عسير، علىٰ الكافرين غير يسير، تدنو فيه الشمس ويشتد العرق ويكثر الرشح، وفي البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦]، **حَتَّىٰ يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»[(٣)].

وهنا يتطلع جميع مَن في المحشر إلىٰ من يشفع لهم ويخلصهم من كَرْبِ ذلك اليوم، وفي هذا جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١٢).

(٢) حسّن إسناده ابن حجر كما في الفتح (١١/ ٥٠٧)، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٧/ ١١٣)، وقال الإمام الألباني: رواه أحمد (٣/ ٧٥) بإسناد ضعيف. المشكاة (١/ ١٥٤٤)، وانظر: ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٤). والحديث فيه بيان تخفيف هذا اليوم علىٰ المؤمنين، ومنه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يوم القيامة علىٰ المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر». الصحيحة (٢٤٥٦)، وصحيح الجامع (حديث ٨١٩٣).

(٣) رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

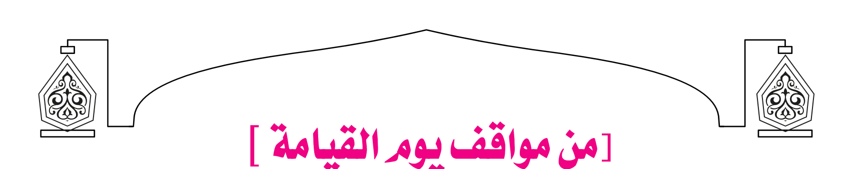
بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ فَيَأْتُونَ، مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا

إِلَىٰ غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ»(١).

إذًا؛ هذه هي الشفاعة العظمىٰ، وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، وهو الذي جاء فيه قول الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾[الإسراء: ٧٩].



(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).



[من مواقف يوم القيامة]

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَجَـاءَ رَبُّـكَ وَالْأَمْـلَاكُ قَاطِبَـةً لَهُـمْ صُـفُوفٌ أَحَاطَـتْ بِـالْوَرَىٰ زُمَـرَا

وَجِـيءَ يَوْمَئِـذٍ بِالنَّـارِ تَسْـحَبُهَا خُزَّانُهَـا فَأَهَالَـتْ كُـلَّ مَـنْ نَظَـرَا

لَهَـا زَفِيـرٌ شَـدِيدٌ مِـنْ تَغَيُّظِهَـا عَلَـىٰ الْعُصَـاةِ وَتَرْمِـي نَحْـوَهُمْ شَـرَرَا

وَيُرْسِـلُ اللهُ صُـحُفَ الْخَلْـقِ حَاوِيَـةً أَعْمَـالَهُمْ كُـلَّ شَـيْءٍ جَـلَّ أَوْ صَـغُرَا

فَمَـنْ تَلَقَّتْـهُ بِـالْيُمْنَىٰ صَـحِيفَتُهُ فَهْـوَ السَّـعِيدُ الَّـذِي بِـالْفَوْزِ قَـدْ ظَفَـرَا

الشرح:

وهنا في البيت الأول موقف عظيم من مواقف يوم القيامة، وهو مجيء رب العالمين قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: والملائكة صفوفًا بين يدي رب العالمين يحيطون بالخلق من جميع الجوانب، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠]، فهذا يوم عظيم، وهو اليوم الذي لا ينفع فيه إلَّا الإيمان والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨،] فلا مفر من هول ذلك

اليوم إلَّا رحمة الله بالمؤمنين. نسأل الله من فضله.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِالنَّارِ تَسْحَبُهَا** ...): وهذا مشهد عظيم وموقف رهيب من مواقف يوم القيامة، يوم يُؤتىٰ بالنار، لها سبعون زمامًا، تقودها الملائكة، والناس في الموقف قد أخافهم هذا الموقف العظيم العصيب، قال تعالىٰ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، وهنا يتوب الكافر ويتعظ ولا ينفعه الاتعاظ؛ فيندم ولات ساعة مندم، وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعْ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١)، وهنا يصاب الخلائق بالهول والفزع العظيم من هذا المنظر المخيف؛ منظر جهنم وهي تضطرم لها زفير شديد، كما ذكر الناظم في قوله:

لَهَا زَفِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ تَغَيُّظِهَا ... عَلَىٰ الْعُصَاةِ وَتَرْمِي نَحْوَهُمْ شَرَرَا

قال تعالىٰ في وصف جهنم يومئذ في سورة «الفرقان»: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الفرقان: ١٢]، قيل: هذا هو غليانها وزفيرها من شدة تغيظها علىٰ الكفرة. نعوذ بالله من غضب الله.

وقول الناظم هُنا: (**وَيُرْسِلُ اللهُ صُحُفَ الْخَلْقِ** ...): هذا موقف آخر عظيم من مواقف يوم القيامة، وهو يوم نشر الصحف المتضمنة لأعمال الخلق أجمعين، هم قد عملوها في حياتهم وسطرتها بالأقلام الملائكة الكرام الكاتبين، إنه يوم

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢).

عظيم ينشغل الخلق فيه بما في تلك الصحف، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقلت يا رسول الله: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟! فقال: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ»(١).

وفي هذه الصحف أعمال العباد جميعها صغيرها وكبيرها، والجميع يأخذون صحائفهم بأيديهم، فأما المؤمنون فيأخذون صحائفهم بأيمانهم، ويفرحون بما سُطر فيها، ويبشرون بهذا الخير أهلهم، وأما الكفار والمشركون يأخذون صحائفهم بشمالهم فيندمون ويتحسرون علىٰ ما فيها، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾[الانشقاق: ٧-١٢].

فالمؤمن يكون فرحًا مُستبشرًا مفتخرًا به علىٰ الناس، يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ [الحاقة: ١٩] ، ويقول: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠] ظننت؛ أي: أني علمت وأما الكافر الذي أعطي كتابه بشماله فقال: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦]، يقول: ولم أدر أي شيء حسابيه: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٧]، يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث، أني ملاق حسابيه إذا وردت يوم

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩). وأما حديث: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً». فقالت أم سلمة: فقلت يا رسول الله: واسوأتاه! ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟! فقال: «شُغِلَ النَّاسُ». فقلت: ما شغلهم؟ قال: «نَشْرُ الصَّحَائِفِ فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ، وَمَثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ» فهو منكر. انظر تخريجه في: «الضعيفة» (١١/ ٤٩٧).

القيامة علىٰ ربي، قال ابن كثير: «أي قد كنتُ موقنًا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة»[(١)]، ولذلك قال الناظم:

فَمَـــنْ تَلَقَّتْـــهُ بِـــالْيُمْنَىٰ صَـــحِيفَتُهُ ... فَهْوَ السَّـعِيدُ الَّـذِي بِـالْفَوْزِ قَـدْ ظَفَـرَا

وَمَـــنْ يَكُـــنْ بِالْيَـــدِ الْيُسْـــرَىٰ تَنَاوُلُهَـــا ... دَعَـــا ثُبُـــورًا وَلِلنِّيـــرَانِ قَـــدْ حُشِـــرَا

وقال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ الآية: «﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: كتاب الأعمال إلىٰ فيها الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾، أي من أعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾؛ أي: يا حسرتنا وويلنا علىٰ ما فرطنا في أعمارنا، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾؛ أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملًا وإن صغر. إلا أحصاها؛ أي: ضبطها وحفظها». اهـ[(٢)].

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: «يا ويلتاه! ضِجُّوا إلىٰ الله من الصغائر قبل الكبائر». اهـ[(٣)].

ومعنىٰ قوله: أي ارفعوا أصواتكم طالبين من الله مغفرة الصغائر قبل الكبائر، وفي الأثر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ»، وإن كان هذا الأثر ضعيف إلا أنه صحيح من حيث المعنىٰ، بدليل

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٠٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩٤).

(٣) «جامع أحكام القرآن» للقرطبي (١٠/ ٤١٩).

قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا؛ تُهْلِكْهُ**»(١)(٢).



(١) رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، قال الإمام الألباني: «وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين، وهو عند أحمد ثلاثي». «الصحيحة» (١/ ٧٤٥).

(٢) هذا الجزء تضمن:

١- نفخ إسرافيل في الصور.

٢- أن جميع الخلق يحشرون أرواحًا وأجسادًا.

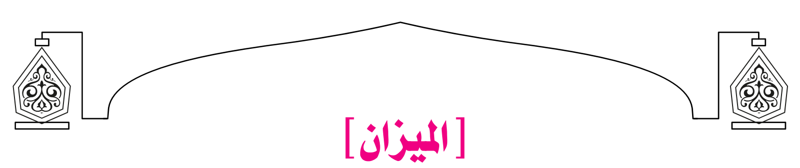
٣- أن الناس يوقفون في أرض المحشر وقوفًا طويلًا.

٤- أن الناس يوقفون للسؤال والقصاص.

٥- مجيء الله والملائكة للقضاء والفصل، ويجيء يومئذ بجهنم.

٦- أن صحائف الأعمال تعطىٰ للناس يوم القيامة. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٢٥- ٢٣).





[الميزان]

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَوَزْنُ أَعْمَالِهِمْ حَقٌّ فَإِنْ ثَقُلَتْ ... بِالْخَيْرِ فَازَ وَإِنْ خَفَّتْ فَقَدْ خَسِرَا

وَأَنَّ بِالْمِثْلِ تُجْزَىٰ السَّيِّئَاتُ كَمَا ... يَكُونُ فِي الْحَسَنَاتِ الضِّعِفُ قَدْ وَفَرَا

وَكُلُّ ذَنْبٍ سِوَىٰ الْإِشْرَاكِ يَغْفِرُهُ ... رَبِّي لِمَنْ شَا وَلَيْسَ الشِّرْكُ مُغْتَفَرَا

الشرح:

هذه الأبيات ذكر فيها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحوال أخرىٰ من أهوال يوم القيامة وهي: وزن أعمال العباد، فقد جاء في الآثار أن بعد نشر الصحف في ذلك اليوم العظيم ينصب الميزان، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء: ٤٧].

يقول المفسرون في معنىٰ هذه الآية: يضع الله تعالىٰ الميزان العادل للحساب في يوم القيامة، ولا يظلم هؤلاء ولا غيرهم شيئًا، وإن كان هذا العمل قدر الذرة من خير أو شر، اعتبرت في حساب صاحبها، وكفىٰ بالله مُحصيًا أعمال عباده، ومجازيًا لهم عليها قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة: ٧، ٨]، وفي هذا بيان عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه يضع الموازين العادلة التي يبيِّن فيها مثاقيل الذر التي توزن بها الحسنات والسيئات، وظاهر الآيات أن الميزان المذكور هو ميزان حسي حقيقي، فتوزن فيه أعمال العباد، فتوضع

الحسنات في كفّة، وتوضع السيئات في كفّة أخرىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[المؤمنون: ١٠٢]، أي رجحت حسناته بسيئاته، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾[المؤمنون: ١٠٢]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، فرجحت سيئاته بحسناته؛ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾[المؤمنون: ١٠٣].

بهذا يتبين أن أهل الحق– أهل السنة والجماعة– يثبتون حقيقة الميزان علىٰ ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في وصفه، ولا يقولون: الميزان هو بمعنىٰ العدل، وأنه ليس حقيقيًّا كما ذهب إلىٰ ذلك بعض أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، بل يقولون هو ميزان حقيقي له كفتان وله لسان(١)، وأنه يخف ويثقل؛ إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته علىٰ سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته علىٰ حسناته دخل النار، علىٰ ما عُلم من مذهب السلف.

فعلىٰ العبد المؤمن أن يُكثر في حياته ما يثقل ميزانه في ذلك اليوم العظيم، ومن ذلك الإكثار من الذكر، ففي الحديث عند البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ،**

---

(١) الكفتان ذكر دليلهما الشارح، كما هو في حديث البطاقة عند الترمذي وغيره، وأما اللسان فورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما عند البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٦٣): «الميزان له لسان وكفتان». اهـ، قال الشيخ خالد الردَّادي في تحقيقه علىٰ «شرح السنة» للبربهاري (ص ٦٤): «أخرجه أبو الشيخ في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٨) من طريق الكلبي؛ والكلبي مُتهم بالكذب كما في «التقريب» (ص ٤٧٩)، وجاء ذكر (اللسان) عن الحسن البصري والبربهاري وابن قدامة وابن القيم وغيرهم من أهل العلم».

ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيْمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ- أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ ...»(٢).

وروىٰ البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِيْمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، كَانَ شِبْعُهُ وَرِيُّهُ، وَرَوَثُهُ، وَبَوْلُهُ، حَسَنَاتٍ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

وفي الحديث الآخر- حديث البطاقة- عند الترمذي بسند صحيح: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ؟ أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣).

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٣)، والنسائي (٣٥٨٢).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠). انظر: «الصحيحة» (١/ ٢٦١) حديث (١٣٥).

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنْ ثَقُلَتْ بِالْخَيْرِ فَازَ، وَإِنْ خَفَّتْ فَقَدْ خَسِرَ): ودليل هذا في القرآن هو قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦-١١].

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ بِالْمِثْلِ تُجْزَىٰ السَّيِّئَاتُ كَمَا ...): في هذا بيان مزيد عدل الله في ذلك اليوم العظيم الذي قال الله فيه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝١٦﴾ [لقمان: ١٦].

وفي جزاء السيئات قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، وقال أيضًا: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]، وأما في جزاء الحسنات، فالله يضاعفها سبحانه كرمًا منه ومنةً علىٰ عبده، قال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكُلُّ ذَنْبٍ سِوَىٰ الْإِشْرَاكِ يَغْفِرُهُ ...): في هذا بيان خطر الشرك بالله، فكل ذنب سوىٰ الشرك فهو تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر وتجاوز عن صاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذلك الذنب في النار، ثم يُخرَج من النار ويُدخل الجنة، ولا يخلد في النار إلا المشركون والكفرة والمنافقون؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]، وثبت في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ

عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

وأما الذنوب الصغائر فإن الله يكفرها عن أهل الإيمان بالمصائب التي تصيب العبد؛ ولها من الله كثير من المُكفِّرات، ففي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمُ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًىٰ وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٢)(٣).



(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

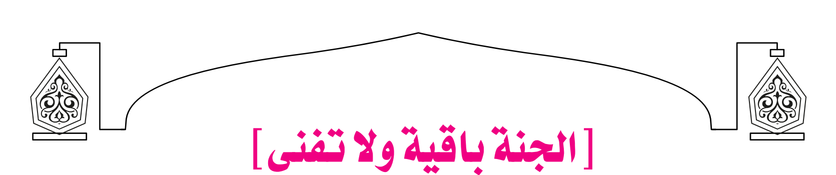
(٢) رواه البخاري (٥٦٤٢) واللفظُ له، ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) هذا الجزء تضمن:

١- وزن أعمال العباد، بوضع ميزان حقيقي له كفتان.

٢- مضاعفة الحسنات وأن السيئات بمثلها-أي: لا تضاعف.

٣- أن كل ذنب دون الشرك يغفره الله لمن شاء من عباده، والذنوب علىٰ ثلاثة أقسام: صغائر، وكبائر، وشرك أكبر. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٢٦، ٢٧).



[الجنة باقية ولا تفنى]

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَجَنَّــةُ الْخُلْــدِ لَا تَفْنَــىٰ وَسَــاكِنُهَا ... مُخَلَّــدٌ لَـيْسَ يَخْشَــىٰ الْمَـوْتَ وَالْكِبَـرَا

أَعَــــدَّهَا اللهُ دَارًا لِلْخُلُــــودِ لِمَــــنْ ... يَخْشَــىٰ الْإِلَــهَ وَلِلنَّعْمَــاءِ قَــدْ شَــكَرَا

وَيَنْظُــرُونَ إِلَــىٰ وَجْــهِ الْإِلَــهِ بِهَــا ... كَمَا يَرَىٰ النَّاسُ شَمْسَ الظُّهْرِ وَالْقَمَرَا

كَــذَلِكَ النَّــارُ لَا تَفْنَــىٰ(١) وَسَــاكِنُهَا ... أَعَــدَّهَا اللهُ مَوْلَانَــا لِمَــنْ كَفَــرَا

وَلَا يُخَلَّـــدُ فِيهَـــا مَـــنْ يُوَحِّـــدُهُ ... وَلَـوْ بِسَـفْكِ دَمِ الْمَعْصُـومِ قَـدْ فَجَـرَا

وَكَــمْ يُنْجِــي إِلَهِــي بِالشَّــفَاعَةِ مِــنْ ... خَيْــرِ الْبَرِيَّــةِ مِــنْ عَــاصٍ بِهَــا سُــجِرًا

الشرح:

قوله: (وَجَنَّةُ الْخُلْدِ لَا تَفْنَىٰ، وَسَاكِنُهَا مُخَلَّدٌ ...): ومن عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الله عَزَّوَجَلَّ أعدَّ لعباده المؤمنين، جنة عرضها السموات والأرض، يدخلها المؤمن فينعم ولا ييأس، ويخلّد ولا يموت، وأنها دارٌ باقية لا تفنىٰ ولا نهاية لها، بل فيها عطاء غير مجذوذ، كما ذكر الله ذلك في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ

---

(١) للفائدة انظر كتاب: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار». للإمام الصنعاني، بتحقيق الإمام الألباني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨].

فالجنة خالدة لا تفنىٰ ولا تبيد، وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون عنها، ولا يَظْعَنُون[١]، ولا يبيدون ولا يموتون، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، وفي الحديث الذي فيه دلالة خلود أهل الجنة هو ما أخبر فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن ذبح الموت بين الجنة والنار، قال: «**ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ**»[٢]، فهذا خلود سرمدي لا نهاية له، فضل من الله وكرامة لأهل الإيمان.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمْ وَلَا يَبْأَسْ، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ**»[٣]، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنه كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يصف الجنة لأصحابه فقال: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشُبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ

---

(١) الظعن: هو السفر والارتحال، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ [النحل: ٨٠].

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، والترمذي (٢٥٥٧)، وابن ماجه (٤٣٢٧).

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٦).

أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]»[(١)]، وهذا مصداق قول الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]، فأهل الجنة في خلود أبدي لا يهرمون، ولا يمرضون، ولا يحزنون، ولا يجوعون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَذَلِكَ النَّارُ لَا تَفْنَىٰ، وَسَاكِنُهَا** ...): فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن النار مخلوقة وأعدَّها الله عَزَّوَجَلَّ لمن يستحقها من عباده، وأن الكفار والمشركين خالدين فيها أبدًا، وأنها دار باقية لا تفنىٰ ولا ينقطع عذابها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة علىٰ أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنىٰ بالكلية، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك. اهـ[(٢)].

ومن الأدلة علىٰ عدم فناء النار قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥] ووصفهم بعدم

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٠٧). وقول ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بفناء النار؛ ينبغي أن يُحمل علىٰ النار الأخرىٰ، لا الأولىٰ التي هي نار الكفار، وهذا التفصيل الذي ينبغي الاعتماد عليه والذي ذكره ابن القيم بـ«الوابل الصيب». قاله الإمام الألباني في «فتاوىٰ جدة» (دقيقة: ٤/ ٠٠:٢٩:٥٤)، وانظر: «الوابل الصيب» (ص ٤٢، ٤٣) بتحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد.

الخروج منها فقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٧].

وإذا علمنا بالخلود في الجنة لأهل الإيمان قاطبةً فإنهم يدخلونها رحمةً من الله وفضلًا؛ حتىٰ العصاة منهم بعد مغفرة الله لهم، أو حصول العذاب المطهر لذنوبهم، وهذا يشمل جميع المعاصي حتىٰ من قتل معصومًا من القتل، وهذا معنىٰ قول الناظم: (**وَلَوْ بِسَفْكِ دَمِ الْمَعْصُومِ قَدْ فَجَرَا**)؛ أي: يشمل دخول الجنة للمؤمن الذي اعتدىٰ بالقتل عمدًا، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب، قد يدخل بها النار ويُعذب لكنه لا يخلد فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣]، ويقول العلماء في بيان معنىٰ الخلود في هذه الآية: «أي طول المكوث والبقاء ما شاء الله، ولا يخلد فيها تخليدًا مؤبدًا، ولهذا لم يقل: خالدًا فيها أبدًا؛ إنما قال: خالدًا فيها؛ لأن الله قد وعد من مات علىٰ التوحيد بدخول الجنة، كما جاءت الأدلة بذلك»[(١)].

وقول الناظم بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَمْ يُنْجِي إِلَهِي بِالشَّفَاعَةِ مِنْ ...**): في هذا بيان أمر الشفاعة في ذلك اليوم العظيم، وقد سبق بيان الشفاعة العظمي للنبي مُحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي لجميع الخلق في المحشر.

وهنا الشفاعة الخاصة، فكل نبي له شفاعة، أما الشفاعة الثانية العظيمة فتكون في الجنة، فإذا انتهىٰ الحساب وبقي دخول أهل الجنةِ الجنةَ؛ فإنهم كذلك يطلبون الشفاعة، بأن يُوجّهوا إلىٰ الجنة، وأن تُفتح أبوابها لإظهار شأنهم ووضعهم،

---

(١) «شرح منظومة الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٩٢).

فيأتون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويشفع لهم في دخولهم الجنة.

فإذًا؛ هي ثلاث شفاعات خاصة به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(١)]:

إحداها: الشفاعة العظمىٰ في أهل الموقف يوم القيامة، فيشفع لهم حتىٰ يقضىٰ بينهم، وهذا هو المقام المحمود الذي قال فيه سبحانه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، فهذا المقام المحمود الذي يبعثه الله يوم القيامة، فيه الشفاعة القضاء بينهم حتىٰ ينصرف كل إلىٰ ما كتب الله له.

الشفاعة الثانية: الشفاعة في أهل الجنة حتىٰ يدخلوا الجنة؛ فإنهم لا يدخلوها إلا بشفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيشفع إلىٰ ربه فيؤذن لهم في دخول الجنة.

الشفاعة الثالثة: خاصة بعمه أبي طالب، وشفاعته فيه بأن يخفف عنه[(٢)]؛ لأنه قد وجده في غمرات النار، فشفع له حتىٰ صار في ضحضاح من النار، فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يشفع لعمه أبي طالب فقط في التخفيف لا في الخروج؛ لأنه مات كافرًا، هذا الذي عليه أهل العلم والتحقيق، أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند موته أن يقول: لا إله إلا الله، فأبىٰ؛ وقال: هو علىٰ ملّة عبدالمطلب[(٣)]، فمات علىٰ الكفر بالله.

فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شفع له بأن يكون في ضحضاح من النار، بسبب ما حصل من نصره للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتعبه وحمايته له، حرص الرسول

---

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام بـ«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٧)، و«شرح الواسطية» للهرّاس (ص ١٠٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

(٢) انظر: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام بـ«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٧)، و«شرح الواسطية» للهرّاس (ص ١٠٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

(٣) رواه البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يسلم، ولكن لم يُقدر له الإسلام، فصار هذا من الآيات الدالة علىٰ أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يملك هداية أحد(١)، فالهداية بيد الله هو الذي يهدي من يشاء، ولهذا لما مات عمه أبو طالب علىٰ الكفر أنزل الله في حقه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال سبحانه في آية أخرىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، لهذا شفع فيه أن يكون في ضحضاح من النار، أسفل قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه. نسأل الله العافية، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ؛ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»(٢)، وفي لفظ آخر يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**»(٣)(٤).



---

(١) **الهداية هدايتان:**

الأولىٰ: هداية توفيق وهي: إدخال الناس في الهداية، وهذه تفرُّد الله سبحانه وتعالىٰ بها.

والثانية: هداية دلالة وإرشاد وهذه يملكها البشر. انظر: «القول المفيد» للعلامة العثيمين (ص ٢٢٢)، ط. دار ابن الجوزي.

(٢) رواه مسلم (٢١٢).

(٣) رواه مسلم (٢١٣).

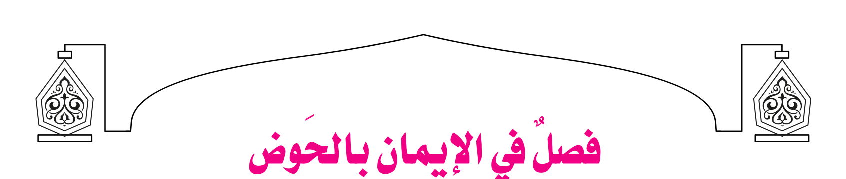
(٤) هذا الجزء تضمن:

١- دخول أهل الإيمان الجنة، وأن الجنة موجودة الآن ولا تفنىٰ.

٢- أن أعظم نعيم بالجنة رؤية الله حقيقةً بالأبصار.

٣- دخول أهل الكفر النار خالدين فيها أبدًا، وأن النار موجودة الآن ولا تفنىٰ.

٤- أصحاب الكبائر من أهل الإيمان لا يخلدون في النار، وتنالهم الشفاعة. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٢٧، ٢٨).



فصلٌ في الإيمان بالحوض

وَأَنَّ لِلْمُصْطَفَىٰ حَوْضًا مَسَافَتُهُ ... مَا بَيْنَ صَنْعَا وَبُصْرَىٰ هَكَذَا ذُكِرَا

أَحْلَىٰ مِنْ الْعَسَلِ الصَّافِي مَذَاقَتُهُ ... كِيزَانُهُ مِثْلُ النُجُومِ تُرَىٰ

وَلَمْ يَرِدْهُ سِوَىٰ أَتْبَاعِ سُنَّتِهِ ... سِيمَاهُمْ أَنْ يُرَىٰ التَّحْجِيلُ والغُرَرَا

وَكَمْ يُنَحَّىٰ وَيُنْفَىٰ كُلُّ مُبْتَدَعِ ... عَنْ وِرْدِهِ وَرِجَالٌ أَحْدَثُوا الغَيَرَا

وَأَنَّ جِسْرًا عَلَىٰ النِّيرَانِ يَعْبُرُهُ ... بِسُرْعَةٍ مَنْ لِمِنْهَاجِ الْهُدَىٰ عَبَرَا

الشرح:

في هذه الأبيات يذكر الناظم الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَصلًا في حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، وهو الحوض المورود، وإثبات الحوض والإيمان به هو من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو حوض يكون يوم القيامة بعد البعث والنشور، وأنكر الحوض الخوارج وبعض المعتزلة[(١)]؛ فإنهم خالفوا في إثبات الحوض والميزان بحجج باطلة.

والحوض[(٢)] المقصود به هُنا هو حوض نبينا مُحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) انظر: «إجماع السلف في الاعتقاد» للكرماني (ص ٨٨)، تحقيق وتعليق الشيخ: أسعد الزعتري، و«فتح الباري» (١١/ ٥٢٦).

(٢) والحوض مما تواترت الأحاديث عنه، رويت عن أكثر من خمسين صحابيًّا، وجمع طرقها الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٢٧).

ولكل نبي يوم القيامة حوض يَرِدُ عليه من أمته من آمن به، فقد روىٰ الترمذي من حديث سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»(١).

وأحواض الأنبياء متفاضلة، وأفضلها حوض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فهو أكثرهم واردًا، وقد جاء في صفته: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ**»(٢)(٣)؛ أي: سعة الحوض، «**زَوَايَاهُ سَواء، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ الْوَرِقِ**»(٤)؛ أي الفضة، وجاء: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ**»(٥)، «**وَأَحْلَىٰ مِنْ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنْ الْمِسْكِ**»(٦)، ورواية: «**وَأَحْلَىٰ مِنْ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ**»(٧)، وماء حوض نبيّنا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من نهر الكوثر في الجنة، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجَنَّةِ**»(٨)؛ أي: يصب في هذا الحوض، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٤٣) وقال: «حديث غريب»، وصححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ بشواهده. انظر: «الصحيحة» (٤/ ١١٧).

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢)، وفي لفظ: «**عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ: مَا بَيْنَ عمّان إِلَىٰ أَيْلَةَ**». رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢)، وفي لفظ: «**عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ: مَا بَيْنَ عمّان إِلَىٰ أَيْلَةَ**». رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٤) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

(٥) رواه مسلم (٢٤٧). يشخب؛ أي: يسيل ويتدفق.

(٦) إسناده حسن. انظر: «ظلال الجنة» (٧٢٤).

(٧) رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٨) رواه مسلم (٢٤٧). يشخب؛ أي: يسيل ويتدفق.

ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، «وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ»[(١)]، ولفظ: «وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ»[(٢)]، وهذا من جهة كثرتها عددًا، وكذلك وصفًا وإضاءةً ولمعانًا، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»[(٣)]، وفي هذا بشارة لمن شرب منه أنه من أمة الإيمان برسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه من أهل الجنة[(٤)].

فهذا الحوض يرِد عليه من أُمته من آمن به وتمسّك بسنته، وعاش عليها ومات عليها، وإنه يُذاد ويُمنع عن الورود علىٰ هذا الحوض أُناس ممن بدلوا في دين الله وارتدُّوا عن الإسلام، ففي الصحيح من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ، فأقُولُ: إنَّهُمْ مِنِّي. فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن غَيَّرَ بَعْدِي»[(٥)(٦)]، ولهذا قال:

وَلَـــمْ يَـــرِدْهُ سِـــوَىٰ أَتْبَـــاعِ سُـــنَّتِهِ   سِـيمَاهُمْ أَنْ يُـرَىٰ التَّحْجِيـلُ والغُـرَرَا

---

(١) رواه مسلم (٢٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٤) قال العلاّمة الفوزان -حفظه الله-: «فعلىٰ المسلم أن يسأل الله الثبات علىٰ هذا الدين، والتمسك به علىٰ الوجه الصحيح، كما جاء عن الرسول؛ لئلا يطرد في هذا الموقف العظيم، ويذاد عن حوض الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ». «شرح منظومة الأحسائي» (ص ٩٤).

(٥) رواه البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٦) قال الشاطبي: «حمله جماعة من العلماء علىٰ أنهم أهل البدع، وحمله آخرون علىٰ المرتدين عن الإسلام». (ص ٤٧)، وانظر: «شرح مسلم» للنووي (ج ١٥/ ٤٩)، وانظر: «شرح منظومة الأحسائي» للعلاّمة الفوزان (ص ٩٤- ٩٦).

وَكَـمْ يُنَحَّـىٰ وَيُنْفَـىٰ كُـلُّ مُبْتَـدِعٍ   عَـنْ وِرْدِهِ وَرِجَـالٌ أَحْـدَثُوا الغِيَـرَا

فالحوض هو مما يجب الإيمان به، وأن حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حق، وهو موجود الآن، ففي الصحيح من حديث عقبة بن نافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «**وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الْآنَ**»(١)، وعندهما أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**وَمِنْبَرِي عَلَىٰ حَوْضِي**»(٢).

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ: (**وَأَنَّ جِسْرًا عَلَىٰ النِّيرَانِ يَعْبُرُهُ** ...): وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أيضًا عن أحوال يوم القيامة، أنهم يؤمنون ويقرون بالصراط وأنه بين الجنة والنار، وهذا خلاف أقوام من أهل الضلال الذين ينكرون ذلك ويتأولونه بتأويلات باطلة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «والصراط منصوب علىٰ متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار». اهـ(٣).

إذًا؛ فالصراط يكون علىٰ متن جهنم وهو القنطرة -الطريق- علىٰ متن جهنم، ويكون المرور علىٰ الصراط بعد مفارقة الناس إلىٰ الظلمة التي تكون دون الصراط، ففي الحديث عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سُئل: أين الناس يوم تبدل الأرض والسموات؟ فقال: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**»(٤)، ثم إن الأمةَ تمر علىٰ هذا الصراط تجري بهم أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا علىٰ قدميه، ومنهم

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٨).

(٣) «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام بـ«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٦).

(٤) رواه مسلم (٣١٥).

من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، وآخرهم يُسحب سحبًا، ومنهم من يُخطف فيلقي في النار[(١)]، وقد أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ الإيمان بالصراط يوم القيامة.

ومن الأدلة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١][(٢)]، ومن حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْجِسْرِ**[(٣)] **فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ**[(٤)]، **عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ**[(٥)]، **وَحَسَكَةٌ**[(٦)] **مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ**[(٧)]، **تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**»[(٨)]، فهذا وصف الصراط في السنة، وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا**

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) جاء عن أبي الأحوص عن عبدالله، وعن زيد بن أسلم. انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٧٧،٤٧٨)، (٤/ ٤٧٩)، و«شرح نظم الأحسائي» للعلَّامة الفوزان (ص ٩٨).

(٣) الجسر: بفتح الجيم وكسرها: «**أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ**». رواه مسلم (١٨٣).

(٤) الدحض والمزلة بمعنىٰ واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ومنه دحضت الشمس؛ أي: مالت.

(٥) الخطاف والكَلّوب بمعنىٰ واحد، وهو حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم وترسل في التنور.

(٦) شوك: صلب من حديد.

(٧) هي نبتة ورقها مثل ورق السدر لها زهرة حمراء، وهي تقتل الشاء، ولا تضر الإبل.

(٨) رواه البخاري (٧٣٣٩)، ومسلم (١٨٣).

رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عِظَمَهَا إِلَّا اللهُ**»(١).

وهنا عندما يذهب الكفرة والمشركين إلىٰ دار جهنم يصلونها وبئس المصير، ويبقىٰ في عرصات القيامة أتباع الرسل الموحدون، وفيهم أهل الذنوب والمعاصي، وفيهم أهل النفاق، وتلقىٰ عليهم الظلمة قبل الجسر، ثم يمرون علىٰ الصراط إلىٰ الجنة، وهنا يتخلف المنافقون ويتقدم المؤمنون، نورهم يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم، يسيرون علىٰ الصراط ثابتون، والمنافقون يتخبطون وينادون أهل الإيمان فلا يُسمع لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢-١٥].

وفي هذا العبور علىٰ الصراط يتميز أهل الإيمان والتقوىٰ، وأهل المعاصي والذنوب، فيمضون بعد أن تتم تصفيتهم من الذنوب والمعاصي ليردوا علىٰ الجنة وهم قد نُزِّهوا وخُلِّصوا من ذنوبهم.

وهنا بعد المرور علىٰ الصراط ونجاةُ من نجا؛ فمنهم من يقفون علىٰ القنطرة بين الجنة والنار وهي الجسر، فيقتص لبعضهم من بعض، قال العلماء: وهذا

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، بل هو أخص لإذهاب الغل والحقد والبغضاء التي تكون في قلوب المؤمنين، فهي كالتنقية والتطهير، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر: ٤٧]، وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بقَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حتَّىٰ إذَا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذِنَ لهمْ بدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بمَسْكَنِهِ في الجَنَّةِ أدَلُّ بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنْيَا**»(١). نسأل الله من فضله(٢).



(١) رواه البخاري (٢٤٤٠).

(٢) هذا الجزء تضمن:

١- الإيمان بالحوض في عرصات يوم القيامة.

٢- الإيمان بالصراط. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٢٩).



[الإيمان]

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَنَّ إِيْمَانَنَا شَرْعًا حَقِيقَتُهُ قَصْدٌ وَقَوْلٌ وَفِعْلٌ لِلَّذِي أَمَرَا
وَأَنَّ مَعْصِيَةَ الرَّحْمَنِ تُنْقِصُهُ كَمَا يَزِيدُ بِطَاعَاتِ الَّذِي شَكَرَا
وَأَنَّ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ وَاجِبَةٌ مِنَ الْهُدَاةِ نُجُومِ الْعِلْمِ وَالْأُمَرَا
إِلَّا إِذَا أُمِرُوا يَوْمًا بِمَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي فَيُلْغَى أَمْرُهُمْ هَدَرَا

الشرح:

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الدينَ والإيمانَ قولٌ وعملٌ، قولُ القلب واللسان، وعملُ القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا مقصد الناظم الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:

وَأَنَّ إِيْمَانَنَا شَرْعًا حَقِيقَتُهُ قَصْدٌ وَقَوْلٌ وَفِعْلٌ لِلَّذِي أَمَرَا
وَأَنَّ مَعْصِيَةَ الرَّحْمَنِ تُنْقِصُهُ كَمَا يَزِيدُ بِطَاعَاتِ الَّذِي شَكَرَا

والإيمان لغةً: هو التصديق، وقيل: هو الإقرار.

والإيمان شرعًا: هو قول وفعل القلب واللسان(١)؛ أي: إرادة القلب

---

(١) لا بد من هذه الثلاث: إقرار بالقلب، وإقرار باللسان، وإقرار بالجوارح. «شرح الشيخ حامد خميس الجنيبي على النظم» (ص ١٠٧).

وإخلاصه وتوكله وخوفه ورجاءه ومحبته وانقياده وطمأنينته.

وهذا معني قول الناظم: (**قَصْدٌ**[(١)] **وَقَوْلٌ وَفِعْلٌ لِلَّذِي أَمَرَ**)، وأعظم أقوال اللسان: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والذكر والقرآن، وتبليغ أوامر الله، والدعوة إلىٰ الإيمان به وطاعته، والدفاع عن دينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهنا لا بد من اجتماع قول اللسان واعتقاد القلب، فإذا كذَّب القلبُ اللسانَ، ومات علىٰ ذلك، وصف القائلُ بالنفاق المخلد لصاحبه في النار.

ومِن عمل اللسان وعمل الجوارح: العبادات؛ كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد ونحو ذلك.

وهذا معنىٰ الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا مجمعٌ عليه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[(٢)]، وأنكر السلف علىٰ من أخرج العمل من الإيمان من الفرق الضالة، وبُيِّن بطلان قولهم بالحجج والبراهين، منها ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**الإِيْمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ- أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ**»[(٣)].

---

(١) قال العلَّامة الفوزان: «قصدٌ: هذا اعتقاد القلب». «شرح منظومة الأحسائي» (ص ١٠٤).

(٢) قال ابن تيمية: «وحكىٰ غير واحد الإجماع علىٰ ذلك». اهـ. ثم نقل كلام الإمام الشافعي عن نقله إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم علىٰ ذلك رَحِمَهُمَاٱللَّهُ. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٣٠٨)، وانظر: «إجماع السلف في الاعتقاد» للكرماني (ص ٣٥)، تحقيق وتعليق الشيخ: أسعد بن فتحي الزعتري.

(٣) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) (٥٧).

فمن حقق هذا الإيمان؛ فإنه يدخل الجنة إن شاء الله، وقد خالف في هذا بعض الطوائف من أهل الضلال:

الأولىٰ: المرجئة، يقولون: أن الإيمان هو الإقرار بالقلب فقط، وما عداه فليس من الإيمان، وعندهم أنه لا يزيد ولا ينقص، فالناس عندهم سواء البَر والفاجر!

الثانية: الخوارج والمعتزلة، يقولون: أن الأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان، وأنها شرط في بقائه، فمن فعل معصية من الكبائر خرج من الإيمان، ولكن الخوارج قالوا: هو كافر، وقال المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين، خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر.

وقول الطائفتين باطل مردود بالأدلة الشرعية، والحق ما قرره أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولهذا قال الناظم:

وَأَنَّ مَعْصِيَةَ الرَّحْمَنِ تُنْقِصُهُ كَمَا يَزِيدُ بِطَاعَاتِ الَّذِي شَكَرَا

وهذا من أصول أهل السنة والجماعة؛ أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والدليل قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال الله تعالىٰ: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، ومع حصول هذا الإيمان والازدياد منه، يحذر المؤمن من مقارفة الذنوب والمعاصي؛ فإنها من دواعي نقصان الإيمان، وهذا معنىٰ قول الناظم: (**وَأَنَّ مَعْصِيَةَ الرَّحْمَنِ تُنْقِصُهُ**)، ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ**

حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١).

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَنَّ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ وَاجِبَةٌ ...**)(٢): هذا بيان لعقيدة أهل السنة والجماعة في وجوب طاعة أولىٰ الأمر، والمراد بهم: الأمراء والعلماء، ولهذا قال الناظم: (**مِنْ الْهُدَاةِ نُجُومِ الْعِلْمِ**)، وهم العلماء، (**وَالْأُمَرَا**): الحكام، فالأمراء هم ساسة الأمة وحكامها وتدبير شؤونها السياسية، وينفذون الأحكام الشرعية، والعلماء هم الذين يوجهون الأمراء والساسة وأفراد الأمة بأمور الدين، ومعرفة الأحكام الشرعية، ومراعات تطبيقها في حياة أمة الإسلام وبلادهم، فهؤلاء جاء الأمر في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بطاعتهم وإجلالهم، والحذر من معصيتهم والخروج عليهم، وطاعتهم تكون من طاعة الله تعالىٰ ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وفي «السنن» من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥).

(٢) «إجماع السلف في الاعتقاد» للكرماني (ص ٤٧)، بتحقيقي، وتعليق الشيخ: أسعد فتحي الزعتري.

(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: «حديث حسن صحيح». وصححه الإمام الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٠٧).

والطاعة تكون بالمعروف، ولهذا قال الناظم: (**إِلَّا إِذَا أُمِرُوا يَوْمًا بِمَعْصِيَةٍ**)، وهذا أصل آخر من أصول أهل السنة والجماعة، وهو وجوب طاعة ولاة أمور المسلمين بالمعروف[١]، وتحريم الخروج عليهم، وتحريم معصيتهم ومخالفتهم في غير معصية الله تعالىٰ؛ لأن معصية الله تعالىٰ من الذنوب العظيمة، فلا طاعة لولي الأمر في المعصية، فإذا أمر ولي الأمر بمعصية فكما قال الناظم: (**فَيُلْغَىٰ أَمْرُهُمْ هَدَرًا**)؛ وذلك لحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[٢]، ولا يلزم من عدم الطاعة الخروج عليه وخلعه[٣]، فاجتماع كلمة الأمة واجتماع كلمة أهل الإسلام وبقاء قوة المسلمين علىٰ أعدائهم من أعظم ما ينبغي مراعاته، وتتجلىٰ طاعة ولاة الأمور في أمور كثيرة، منها:

وجوب الصَّلاة خلفهم وإن ارتكبوا المعاصي ما لم تكُن كفرًا، فلا يمتنع عن الصلاة خلفهم إلا أهل البدع كالخوارج، ولنا في صحابة رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أسوة في الصلاة خلف أمراء الجور، فقد صلىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خلف أمراء كالوليد بن عقبة[٤]، والحجاج[٥]، والمختار وعبيد الله بن

---

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم- رحمك الله- أنه لا طاعة لبشرٍ في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ». اهـ. «شرح السنة» (٧١)، تحقيق وتعليق الشيخ الدكتور: خالد الردادي.

(٢) رواه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

(٣) قال الإمام الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه ألبتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه». اهـ. «إجماع السلف في الاعتقاد» للكرماني (ص ٤٨)، تحقيق وتعليق الشيخ: أسعد الزعتري. وانظر: «شرح منظومة الأحسائي» للعلاَّمة الفوزان (ص ١٠٦).

(٤) الوليد بن عقبة كان يشرب الخمر. «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٥٣).

(٥) الوليد بن عقبة كان يشرب الخمر. «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٥٣).

زياد[١] وغيرهم، فلم يتخلَّفوا عن الصلاة خلفهم في الجُمع والجماعات والأعياد، وكذلك كانوا يحجُّون معهم، كل ذلك عملًا بوصية رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأمة الإسلام كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء في لفظ الحديث: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، ولا شك أن من محدثات الأمور والبدع الخروج علىٰ أئمة المسلمين، وترك الصلاة خلفهم، فالسنة طاعة ولاة الأمور والصلاة خلفهم والجهاد في سبيل الله تحت رايتهم إذا استنفروا المسلمين للجهاد.

وكذلك من طاعة ولاة الأمر الحج معهم كما كان السلف يفعلون، كما يجب مناصحة ولاة الأمور بالطرق السليمة اللائقة، التي تحببهم إلىٰ الخير وتحذرهم من الشر، كما كان السلف يفعلون ذلك، مع وجوب الحذر من إظهار التحذير والإنكار عليهم في المجالس، وعلىٰ المنابر أو في الصُّحف ووسائل الاتصال، فإن هذا من فعل المبتدعة والخوارج، وهو أصل مبدأ الخوارج واستحلال الدماء بعد ذلك، فهذا هو منهج السلف الصالح؛ النصح: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[٢]، فإن أدىٰ النصح إلىٰ الخير وأتىٰ بالمطلوب فبها، وإلَّا فقد برأت الذمة، والآثار في ذلك كثيرة، قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «**الإبانة الصغرىٰ**»: «وقد أجمعت العلماء من أهل العلم، والفقه، والنُّساك، والعباد، والزهاد، منذ أول هذه الأمة إلىٰ وقتنا هذا: أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنًىٰ، وعرفاتٍ، والغزوَ، والحجَّ، والهديَ، مع كلّ أميرٍ، برٍّ وفاجرٍ». اهـ[٣].

---

(١) «المحلىٰ» (٣/ ١٣٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٧٩،٣٧٩). وعبيد الله بن زياد كان ممن ينكر الحوض. «الفتح» (١١/ ٥٢٦).

(٢) رواه مسلم (٥٥).

(٣) «الإبانة الصغرىٰ» (ص ١٩٨، ١٩٩).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغزو ماضٍ مع الأمراء إلىٰ يوم القيامة، البر والفاجر، لا يترك... وصلاة الجمعة خلفه، وخلف من ولَّاه جائزة تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء؛ إذا لم يرَ الصلاة خلف الأئمة -من كانوا- برهم وفاجرهم، فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين ويَدين بأنها تامة لا يكن في صدرك شك». اهـ[(١)(٢)].



(١) «أصول السنة» للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٢٠، ٢١).

(٢) هذا الجزء تضمن:

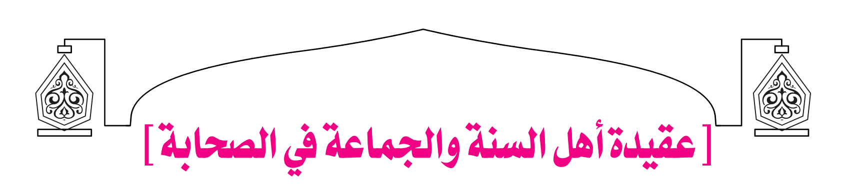
١- أن الإيمان قول وعمل ونية.

٢- وجوب طاعة الأمراء والعلماء في غير معصية.

٣- يُسمع للأمراء ويُطاع ولو كانوا ظلمةً فُجَّارًا.

٤- الحذر من الطعن فيهم، والخروج عليهم بالسنان، أو التحريض علىٰ الخروج عليهم باللسان.

٥- ثمرة طاعة العلماء والأمراء هي سلامة الدين والدنيا. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٣٢، ٣٣).



[عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة]

قال الناظم بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَنَّ أَفْضَلَ قَرْنٍ لِلَّذِينَ رَأَوْا ... نَبِيَّنَا وَبِهِمْ دِينُ الْهُدَىٰ نُصِرَا
أَعْنِي الصَّحَابَةَ رُهْبَانٌ بِلَيْلِهِمُ ... وَفِي النَّهَارِ لَدَىٰ الْهَيْجَا(١) لُيُوثٌ
وَخَيْرُهُمْ مَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ خِلَافَتَهُ ... وَالسَّبْقُ فِي الْفَضْلِ لِلصِّدِّيقِ مَعْ عُمَرَا
وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ لَهُمْ وَكَذَا ... أَتْبَاعُ أَتْبَاعِهِمْ مِمَّنْ قَفَّىٰ الْأَثَرَا
وَوَاجِبٌ ذِكْرُ كُلٍّ مِنْ صَحَابَتِهِ ... بِالْخَيْرِ وَالْكَفُّ عَمَّا بَيْنَهُمْ شَجَرَا
فَلَا تَخُضْ فِي حُرُوبٍ بَيْنَهُمْ وَقَعَتْ ... عَنِ اجْتِهَادٍ وَكُنْ إِنْ خُضْتَ مُعْتَذِرَا
وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي الدِّينِ مُفْتَرَضٌ ... فَاقْتَدِ بِهِمْ وَاتْبَعِ الْآثَارَ وَالسُّوَرَا
وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ فَكَمْ ... ضَلَالَةً تُبِعَتْ وَالدِّينُ قَدْ هُجِرَا

الشرح:

ذكر الناظم في هذا الفصل اعتقاد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فمن أصول أهل السنة والجماعة أن أفضل قرون(٣) هذه

---

(١) الهيجا: الحرب.

(٢) ليوث شرىٰ: الشرىٰ هو الموضع كثير الأسْد، ويراد بهم الأشداء الأقوياء. «شرح الشيخ حامد خميس الجنيبي علىٰ النظم» (ص ١١٣).

(٣) جمع: قرن، وهي المدة من الزمن، وقيل: مائة سنة.

الأمة هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إذ المسلمُون متفقُون علىٰ أن هذه الأمة خير الأمم وأكملهم، وأن أكمل هذه الأمة وأفضلها هم سابقوها». اهـ(١).

وقال أيضًا: «تواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن خير هذه الأمة القرن الأول، ثم الذين يلونهم ثم يلونهم ثم الذين يلونهم، وهذه الأمة هي خير الأمم، كما دل عليها الكتاب والسنة». اهـ(٢).

وقد فضلت تلك القرون عن غيرها؛ لأنهم هم أول من تشرف برؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وصحابته تعلموا علىٰ يده، وصلوا خلفه، وجاهدوا معه، وتحملوا القرآن والسنة وطبقوها، فهم خير القرون، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في «الصحيحين»: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق المسلمون علىٰ أن أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، خير الأمم، وأن خير هذه الأمة أصحاب نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأفضلهم السابقون الأولون، وأفضلهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ». اهـ(٤).

وما قاله شيخ الإسلام هنا دليله حديث العرباض الذي تقدّم: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّو عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٠٢).

(٢) «منهاج السنة» (٧/ ٤٥٨).

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (٥٦٠).

وقد أوردهم الناظم بقوله:

وَخَيْـرُهُمْ مَـنْ وَلِـيَ مِـنْهُمْ خِلَافَتَـهُ وَالسَّبْقُ فِي الْفَضْـلِ لِلصِّـدِّيقِ مَعْ عُمَـرَا

وَالتَّـابِعُونَ بِإِحْسَـانٍ لَهُـمْ وَكَـذَا أَتْبَـاعُ أَتْبَـاعِهِمْ مِمَّـنْ قَفَّـىٰ الْأَثَـرَا

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في مراتب ذلك الجيل المبارك، ومن تبعهم من التابعين الأخيار، الذين اتبعوا آثار الصحابة الأبرار، فأفضل هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أفضل الصحابة بلا خلاف عند أهل السنة، ثم يليه في الفضل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم بقية الصحابة من العشرة المبشرين بالجنة والمهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والصحابي، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ- أي: النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- سنةً، أو شهرًا، أو يومًا، أو ساعةً، أو رآه؛ فهو من أصحابه، وله من الصحبة علىٰ قدر ما صحبه... - إلىٰ أن قال- فأدناهم صحبة هو أفضل من القرون الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال». اهـ[(١)].

وقول الناظم: (**وَالسَّبْقُ فِي الْفَضْلِ لِلصِّدِّيقِ**)، هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أول خليفة وأفضل الصحابة وأسبقهم إلىٰ الإسلام، وأجمع الصحابة علىٰ تقديمه ومبايعته، وهو رفيق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هجرته، وأعظم الناس بلاءً في الإسلام، ومن فضائله أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قدَّمه في الصلاة، ومنها قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي**»[(٢)].

---

(١) «أصول السنة» (ص ١٩).

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣).

وشهد بأفضليته فاروق هذه الأمة عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضرب بالدرة من فضله علىٰ أبي بكر، وقال: «أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، في كذا وكذا، ومن قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم علىٰ المفتري». اهـ[(١)].

وقول الناظم: (**مَعْ عُمَرَ**)، هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي كان فرقانًا بين الحق والباطل، وسيفًا علىٰ أعداء الله، وهو الخليفة الثاني بعد أبي بكر، وفضائله كثيرة جدًّا؛ منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**»[(٢)]، ومعني محدَّثون؛ أي: مُلهمون.

ومن فضائله: أن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، فقام بها خير قيام[(٣)].

وثالثهم: عثمان ذو النورين[(٤)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أبو عبد الله عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين باتفاق أهل الشورىٰ، المقتول ظلمًا[(٥)]، تزوج ابنتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وفضائله كثيرة جدًّا، منها: قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْـمَلَائِكَةُ**»[(٦)].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠٠) وصحح إسناده ابن تيمية في «الصارم المسلول» (٣/ ١١٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٣٩٨)، والترمذي (٣٦٩٣).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ١٩٩، ٢٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١١، ٤١٣).

(٤) لُقب بذي النورين؛ لأنه تزوج رقية وأم كلثوم بنتا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٥) «شرح مسلم» للنووي (١٥/ ١٣٣).

(٦) رواه مسلم (٢٤٠١).

ورابعهم: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رابع الخلفاء الراشدين بإجماع السلف.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخيرُ هذه أمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نُقدم هؤلاء الثلاثة كما قدَّمهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة: أصحاب الشورىٰ الخمسة علي بن أبي طالب ...». اهـ(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»: «... وأن الإجماع انعقد بآخره عند أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين». اهـ(٢).

هذه منزلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند أهل السنة والجماعة، وقد أثنىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ ذلك القرن المبارك في كتابه العزيز، حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، فهؤلاء هم المهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم ذكر الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال عزَّ من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾- أي: المدينة النبوية- ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، ثم ذكر الذين يأتون من بعدهم فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ

(١) «أصول السنة» (ص ١٧).

(٢) «الفتح» (٧/ ٣٧).

﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾.

فهذه عقيدة أهل الإيمان في الصحابة جميعًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، خلافًا للرافضة الذين يَسُبُّون صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ويقولون- قبَّحهم الله-: اللهمّ العن صحابة رسول الله، اللهم العن صنمي قريش: أبابكر وعمر!

هؤلاء- والعياذ بالله- يدَّعون أنهم مسلمون، وهذا موقفهم من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بوجوب ذكر ذلك القرن المُفضَّل المبارك من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالخير، ووجوب ذكرهم بالجميل والإحسان، والثناء العطر والترضِّي عنهم، وطلب المغفرة من الله لهم فيما قد شجر بينهم من الخلاف أوالفتن، ويجب عدم الخوض والكف عن ذلك، فهم مجتهدون، جميعهم يرون الحق والصواب، فهم مجتهدون مصيبون ولهم أجران، أو مجتهدون مخطئون ولهم أجر واحد، فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة حين الكلام أو ذِكْر شيء من الخلاف، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَوَاجِبٌ ذِكْرُ كُلٍّ مِنْ صَحَابَتِهِ ... بِالْخَيْرِ وَالْكَفُّ عَمَّا بَيْنَهُمْ شَجَرَا

فَلَا تَخُضْ فِي حُرُوبٍ بَيْنَهُمْ وَقَعَتْ ... عَنْ اجْتِهَادٍ وَكُنْ إِنْ خُضْتَ مُعْتَذِرَا

وكما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقولون: إن هذه الآثار المرويَّة في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

منه: هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مُصيبون، وإما مجتهدون مُخطئون». اهـ[(١)].

فاحذر أيها المسلم يا مَن تلتزم عقيدة أهل السنة والجماعة الوقوع في ذكر شيء من خلاف ذلك الجيل المبارك، والزمْ الاعتذار لهم في رَدِّك علىٰ من خاض في أمر الخلاف بينهم، فهذا معنىٰ ما ذكره الناظم في عقيدة أهل السنة والجماعة.

ويجب عليك الاقتداء بذلك الجيل والقرن المُفضَّل، وهذا ما عناه وذكره الناظم في قوله:

وَالِاقْتِـدَاءُ بِهِـمْ فِـي الـدِّينِ مُفْتَـرَضٌ فَاقْتَـدِ بِهِـمْ وَاتْبَـعِ الْآثَـارَ وَالسُّـوَرَا

فهذا من واجبنا ومن حقهم علينا، الثناء عليهم، والدعاء لهم، والاستغفار والترضي عنهم، وذكرهم بالجميل والاقتداء بهم رضي الله عنهم جميعًا.

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُحذرًا من الابتداع والإحداث في دين الله تعالىٰ الذي خُتم ببعثة هذا النبيِّ المُبارك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال: (**وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ فَكَمْ** ...): وقول الناظم هنا مستوحًىٰ من كلام النبوَّة، وهو قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

ففي هذا الحديث:

• الحث علىٰ التأكيد الشديد علىٰ التمسُّك بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسنة الخلفاء الراشدين، والنهي عن الابتداع في الدين

---

(١) «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام بـ«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٥).

والتحذير الشديد من ذلك.

● إشارة إلىٰ لزوم اتباع سبيل القرون الثلاثة الأولىٰ؛ فإن مَن قرُب زمنُه من زمن النُّبوة فهو أولىٰ بالفضل والعلم والتأسِّي والاقتداء بهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

● ذمُّ البدع والإحداث في الدين[(١)].

---

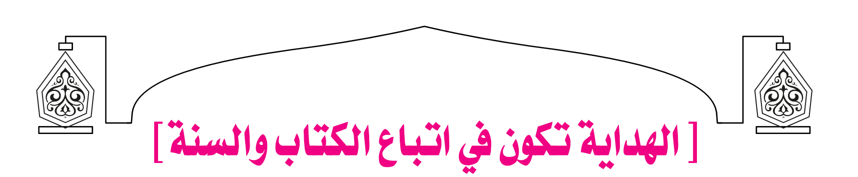
(١) هذا الجزء تضمن:

١- أفضل قرن هو قرن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢- اعتقاد تفاضلهم.

٣- بيان حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤- وجوب اقتفاء آثارهم. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٣٤- ٣٦).



[الهداية تكون في اتباع الكتاب والسنة]

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّ الْهُدَىٰ مَا هَدَىٰ الْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا بِهِ الْكِتَابُ كَتَابُ اللهِ قَدَ أَمَرَا

فَلَا مِرَاءَ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا

فَهَاكَ فِي مَذْهَبِ الْأَسْلَافِ قَافِيَةً نَظْمًا بَدِيعًا وَجِيزَ اللَّفْظِ مُخْتَصَرَا

يَحْوِي مَهَمَّاتِ بَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ مِنْ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الَّذِي اشْتَهَرَا

الشرح:

فالهداية والسَّلامة والنَّجاة والفلاح في الدنيا والآخرة؛ هو اتباع الهُدىٰ كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والهدُىٰ الذي جاء به نبيّنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو كتاب الله سنته، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا** ... » الحديث(١)، وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال: ... فأجاز رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أتىٰ عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتىٰ إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتىٰ بطن الوادي فخطب الناس وقال: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ**

---

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ- إلىٰ أن قال- فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَىٰ النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١).

ثم بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظم أمر الجدال والمراء في الدين وحذَّر منه، فقال:

فَلَا مِرَاءَ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ ... وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا

فكم ضل أقوام في ذلك حتىٰ كفروا وتزندقوا والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

ثم أورد الناظم مشيرًا إلىٰ منظومته بقوله: (**فَهَاكَ فِي مَذْهَبِ الْأَسْلَافِ قَافِيَةً**)؛ أي: في هذه المنظومة بيان مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة، في أبيات من الشعر البديع المُختصر: (**نَظْمًا بَدِيعًا وَجِيزَ اللَّفْظِ مُخْتَصَرًا**)، وما تضمن- أي: هذا النظم- من أبواب مهمة مما حُرر في العقيدة، فقال: (**يَحْوِي مَهَمَّاتِ بَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ مِنْ**)، وهذا العقيدة المنظومة مقتبسة من مقدمة رسالة العلامة ابن أبي زيد

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

القيرواني المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الَّذِي اشْتَهَرَ**)[1].

---

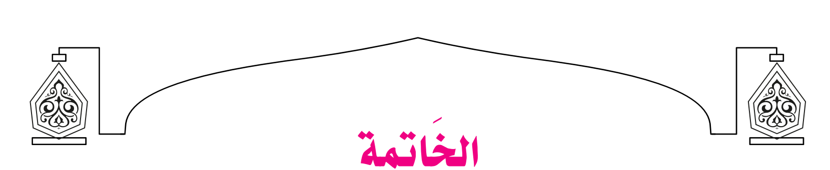
(١) هذا الجزء تضمن:

١- ترك المحدثات والبدع في الدين.

٢- ترك المُحدثين للبدع، كالخوارج والروافض والصوفية وغيرهم.

٣- أن الهُدىٰ في كتاب الله وسنة رسوله.

٤- ترك الجدال والمراء في الدين. قاله الشيخ أحمد قذلان المزروعي في «شرحه للنظم» (ص ٣٧، ٣٨).



الخَاتمة

وَالْحَمْــــــدُ للهِ مَوْلَانَــــــا وَنَسْـــــأَلُهُ غُفْـرَانَ مَـا قَـلَّ مِـنْ ذَنْـبٍ وَمَـا كَثُـرَا
ثُـــمَّ الصَّـــلَاةُ عَلَـــىٰ مَـــنْ عَـــمَّ بَعْثَتُـــهُ فَأَنْـــذَرَ الثَّقَلَـــيْنِ الجِـــنَّ وَالْبَشَـــرَا
وَدِينُــــهُ نَسَــــخَ الْأَدْيَــــانَ أَجْمَعَهَــــا وَلَــيْسَ يُنْسَــخُ مَــا دَامَ الصَّــفَا وَحِــرَا
مُحَمَّــــدٌ خَيْــــرُ كُــــلِّ الْعَــــالَمِينَ خَــتَمَ النَّبِيِّــينَ وَالرُّسْــلَ الْكِــرَامَ جَــرَا
وَلَــيْسَ مِــنْ بَعْــدِهِ يُــوحَىٰ إِلَــىٰ أَحَــدٍ وَمَــنْ أَجَــازَ فَحَــلَّ قَتْلُــهُ هَــدَرَا
وَالْآلُ وَالصَّـحْبُ مَـا نَاحَـتْ عَلَـىٰ فَـنَنٍ وَرْقَـا وَمَـا غَـرَّدَتْ قُمْرِيَّـةٌ سَـحَرَا

الشرح:

ثم ختم الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منظومته حامدًا لله تعالىٰ، المُوفِّق لكل عمل صالح مبارك بقوله: (**وَالْحَمْدُ للهِ مَوْلَانَا**)، فالحمد والثناء الجميل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم سأل الله الغفران فقال: (**غُفْرَانَ مَا قَلَّ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا كَثُرَا**)، فنسأله سبحانه أن يغفر لنا ذنوبنا جميعهَا وزلاتنا، فهو أهل الحمد والثناء وله الشكر الجزيل آخرًا وابتداءً.

ثم الصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان علىٰ: (**مَنْ عَمَّ بَعْثَتُهُ... فَأَنْذَرَ الثَّقَلَيْنِ الجِنَّ وَالْبَشَرَ**)، خير خلق الله تعالىٰ المبعوث إلىٰ الثقلين الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا، بأكمل الشرائع وأتم الملل، الذي: (**دِينُهُ نَسَخَ الْأَدْيَانَ أَجْمَعَهَا**)، وأتم دين رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فهو الدين الباقي إلىٰ قيام الساعة، لا ناسخ له ما جرىٰ القمران وثبت الجبلان- الصفا وحراء- في أرض الله المقدسة، وحرم الله المبارك

في مكة المكرمة، كما قال الناظم: (**وَلَيْسَ يُنْسَخُ مَا دَامَ الصَّفَا وَحِرَا**).

فبه الله: (**خَتَمَ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلَ الْكِرَامَ جَرَىٰ**)، صلوات الله وسلامه علىٰ نبيه الخاتم للرسل الكرام فلا نبي بعده، فبه ختم الله رسالة الإسلام، فمن رام دينًا غير دين الإسلام فهو كافر مهدور دمه حلال قتله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ﴾؛ أي كفر: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٨٢﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

فصلوات الله وسلامه علىٰ: (**مُحَمَّدٌ خَيْرُ كُلِّ الْعَالَمِينَ**)، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(١)].

ومن ادَّعىٰ النبوة بعده أو من أجاز أن يُبعث نبي بعده، فإنه مرتد عن الإسلام يجب قتله:

وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَحَدٍ ... وَمَنْ أَجَازَ فَحَلَّ قَتْلُهُ هَدَرَا

وصلوات الله وسلامه: (**وَالْآلُ وَالصَّحْبُ مَا نَاحَتْ عَلَىٰ فَنَنٍ**)؛ أي: الأغصان (**وَرْقَا**[(٢)] **وَمَا غَرَّدَتْ قُمْرِيَّةٌ**[(٣)] **سَحَرَ**).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩).

(٢) الحمامة.

(٣) نوع من الطير.

وبهذا تم شرح هذه المنظومة المباركة، نسأل الله الرحمة والغفران لناظمها العلَّامة الأحسائي المالكي، ونفع الله بها أمة الإسلام، إنَّ الله ولي ذلك والقادر عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وصلىٰ وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وأصحابه ومن اقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.





الفهرس

مقدمة الشيخ سالم بن عبد الله بامحرز ٣
تَرْجَمَةُ صَاحِبِ المَتْنِ ٥
[مقدمة المتن] ٧
[معنىٰ صلاة الله علىٰ نبيه عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ] ٨
[أنواع الريح] ٨
[أسماء الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ] ١٠
[فضل العلم] ١١
بابُ ما تعتقدُه القلوب وتنطقُ به الألسُن من واجب أمور الديانات ١٤
[تعريف الإسلام] ١٤
[أول واجب علىٰ المكلّف] ١٥
[معنىٰ كلمة التوحيد] ١٥
[تنزيه الله عن خمسة أمور] ١٧
[منهج أهل السنة في معنىٰ التكييف] ١٨
[ذكر بعض الأسماء والصفات] ٢٠
[بيان بطلان مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في نفي الكلام] ٢١
[أقسام كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ] ٢٣
[أقسام إرادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ] ٢٤
[الكرسي والعرش] ٢٥

[علو الله واستوائه] ٢٦
[علم الله محيط بكل شيء] **٢٩**
[صفات الله غير مخلوقة] ٣٠
[القرآن كلام الله غير مخلوق] ٣١
[القديم ليس من أسماء الله] ٣٢
[الله لا يُرىٰ في الدنيا] **٣٣**
فصلٌ في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه **٣٥**
[مراتب القدر] ٣٦
فصلٌ في عذاب القبر وفتنته **٤١**
[عقيدة أهل السنة والجماعة في القبر] ٤١
فصلٌ في البعث بعد الموتِ والجزاء **٤٨**
[النفخ في الصُّور] ٤٩
[أنواع أدلة البعث والنشور] ٥٠
[معنىٰ الصُّور] ٥٠
[تخفيف طول الوقوف يوم القيامة علىٰ المؤمنين] ٥٣
[الشفاعة العظمىٰ والمقام المحمود] ٥٤
[من مواقف يوم القيامة] **٥٧**
[أخذ الصحيفة باليمين والشمال] ٥٩
[الميزان] **٦٢**
[الجنة باقية ولا تفنىٰ] **٦٧**
[النار باقية ولا تفنىٰ] ٦٩
[الشفاعة] ٧٠

فصلٌ في الإيمان بالحَوض ٧٣

[صفة الحوض] ٧٤

[الصِّراط] ٧٦

[الإيمان] ٨٠

[طوائف خالفت أهل السنة والجماعة في الإيمان] ٨١

[الإيمان يزيد وينقص] ٨٢

[طاعة ولي الأمر] ٨٣

[طاعة ولي الأمر تكون في المعروف] ٨٣

[عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة] ٨٧

[تعريف الصحابي] ٨٩

[أفضلية الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ٨٩

[الإجماع علىٰ ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل والخلافة] ٩١

[وجوب السّكوت عما جرىٰ بين الصحابة ولا يذكرون إلا بالجميل] ٩٢

[وجوب الاقتداء بالصحابة] ٩٣

[ترك الإحداث في الدين] ٩٣

[الهداية تكون في اتباع الكتاب والسنة] ٩٥

[التحذير من الجدال والمراء في الدين] ٩٦

الخَاتمة ٩٨

الفهرس ١٠١

عون الباري في شرح نظم الأحسائي

اعتنى به

أبو حفص عمر العجيلي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

لفضيلة الشيخ

سالم بن عبد الله بامجرز

